الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة 8 ماي 1945 قالمـــة
كليـــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature arabe

الرقم: .....

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (الأدب الجزائري)

الإيديولوجي والتّاريخي في رواية الدّيوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي

مقدمة من قبل الطالبة:

مروة حفايظيّة

تاريخ المناقشة: 20 / 06 / 2022

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
وردة معلم	أستاذ التّعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
عبد العزيز العبّاسي	أستاذ مساعد "أ"	جامعة 8 ماي 1945قالمة	مشرفا ومقررا
السعيد مومني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الحي القيوم، أولا وأخيرا وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم:

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

نتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذ "عبد العزيز العباسي" الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الرسالة وعلى جميع التوجيهات والملاحظات والنّصائح.

كما لا يفوتني أن أتقدم بوافر التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المحترمين على عناء قراءة الرسالة وقبولها وتصويبها.

وكذلك نتقدم بخالص الشكر الى كل من درّسنا من أساتذة كلية الآداب واللغات بجامعة قالمة وإلى كلّ موظَّفي المكتبة وجزاهم الله كلّ خير.

وفي الاخير نشكر كلّ من قدّم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد، ونسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، إنّه قريب مجيب.

مـقـدمـة

مقدمـــة

يشهد العالم اليوم، اهتماما كبيرًا بالتاريخ والقضايا التي يطرحها، وقد عبّر عن ذلك من خلال الكتابة الروائية بمساءلة التاريخ والبحث في خباياه، فالرّواية جنس أدبي، فنّي، نثري وإبداعي تخييلي؛ فهي تصور الواقع في أبسط صوره، وقد ركّزت في دراستي على فن الرواية لما فيها من عبق وإثارة، مسلطة الضوء على إحدى الروائيات الجزائرية التي استطاعت أن تحجز لنفسها مكانا مميّزًا بين نظيراتها في الوطن العربي لأنّها حازت على جائزة "البوكر العربية"، وهي للرّوائي الشباب عبد الوهاب عيساوي، وعلى الرّغم من حداثة التجربة الروائية، إلّا أنّه اقتنص الجائزة عن جدارة سنة 2020، فهي متفرّدة من حيث طرحه للموضوع وحبكته، واستخدامه أسلوبا ولغة سهلة بسيطة ممتنعة. فرواية الديوان الإسبرطي عالجت فترة مهمّة من التاريخ 1815-1834، حيث كانت الجزائر آنذاك تابعة للحكم العثماني وهيمنته. والأحداث متعلّقة، خاصّة، بوقائع الحملة الفرنسيّة على الجزائر 1830.

إنّ النص السردي لا يخلو من الإيديولوجية، فهي التي تكوّن المعنى داخله، فالعلاقة بينهما رصينة ومتينة سواء أكانت ظاهرة أم مضمرة، كما أنّه لا يخلو من التخييل التاريخي الذي يمزج بين الواقع والخيال في شكل فنّي مميز، يسائل عيساوي التّاريخ، قصد الوقوف على طبيعة الوجود العثماني في الجزائر، وظروف الحملة الفرنسيّة، والمواقف الّتي انبثقت عنها. لأجل ذلك، حاولنا تحليل موضوع الرواية بأدوات ما بعد الحداثة التي تعتمد على تقويض وتفكيك المقولات المركزية، وكشف الأنساق المضمرة في التاريخ. ومن هنا جاز أن نتساءل: هل قام الكاتب بإعادة قراءة التاريخ من وجهة نظر جديدة، أم اكتفى بالمرجعية الواقعية للأحداث التاريخية؟ وما هي المواطن التي تكمن فيها القضايا الإيديولوجية داخل رواية 'الديوان الإسبرطي؟

وعلى ضوء هذه التساؤلات جاء البحث في فصلين، فصل نظري آخر تطبيقيّ، إضافة إلى خاتمة.

ولقد اتبعت في دراستي: المنهج الوصفي التحليلي، ومن أهم الدوافع في اختياري للموضوع: هو حبي للرواية وخاصة هذه الأخيرة لما تحمله من حقائق تاريخية عن بلادي، وقد واجهت عدة صعوبات منها: ضيق الوقت، وقد قسمت بحثي إلى فصلين،

فأمّا الفصل النظري، الموسوم بـ: 'الإيديولوجيا والتخييل التاريخي في الرواية'، فتناولنا فيه المفاهيم النّظريّة الأساس من خلال طرح مفاهيم الإيديولوجيا عند كتّاب عرب وأجانب، ثمّ بيّنّا العلاقة بين الرواية الإيديولوجية، ومفهوم الرواية والتاريخ والرواية التاريخية وعلاقة الرواية والتخييل التاريخي.

وأمّا الفصل الثّاني، الّتطبيقي، الموسوم بـ الإيديولوجي والتّاريخيّ في رواية الدّيوان الإسبرطي؛ فمهّدنا له بمدخل تناول التاريخانية الجديدة من حيث المفهوم، النشأة ...الخ، ثمّ قراءة في غلاف الرواية وعتبة العنوان وأبعاده الإيديولوجيّة، ثمّ إيديولوجية الشخصيات التي تتصارع في الرواية من أجل تشكيل بناء سردي روائي.

وفي الخاتمة حاولنا الوقوف على أهم النّتائج والإحاطة بأهم أحداث فترة 1815-1834 التي عاشتها المحروسة وأهلها، مع تصوير الإيديولوجيات التي طغت على الرواية، أعقبتها بملحق تناولت فيه ملخص الرواية 'الديوان الإسبرطي' والتعريف بالكاتب عبد الوهاب عيساوي مع ذكر أهم انجازاته.

اعتمدت في هذا البحث على مراجع ومصادر أهمها:

-الرواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي.

- النقد الروائي والإيديولوجي لحميد الحمداني.

- مفهوم الإيديولوجيا لعبد الله العروي.

- الرواية والتاريخ لنضال الشمالي، وغيرها

الفصل الأول:

الإيديولوجيا والتخييل التاريخي

أولا–مفاهيم عامّة

ثانيا–الرواية والإيديولوجيا

أ–الإيديولوجيا في الرواية

ب–الرواية كإيديولوجيا

ثالثا: الرواية التاريخية والتخييل التاريخي

أ –مفهوم التاريخ

ب–مفهوم الرواية التاريخية

ج–التخييل التاريخي في الرواية التاريخية

مفهوم الإيديولوجية

يعود مصطلح الإيديولوجية إلى اليونانية: «حيث تتكون من مقطعين "idea" بمعنى فكرة، و "logos" وتعني علم أو دراسة، أي أنها علم الأفكار وقد تطور المفهوم لاحقا نتيجة تطور الفكر السياسي وأصبحت الايدولوجية إحدى مظاهر التنظيم السياسي» [1]، بشكل عام هي موقف سياسي أو هي الوعي الجمعي للأفراد إزاء حياتهم (الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية)، واستعملت الإيديولوجية كمفهوم باللغة الفرنسية بعد ورود المصطلح في كتاب: «مشروع المبادئ الإيديولوجية للفرنسي "ديستوت ترى سي"، الذي يعتبر مشروعه امتدادا لأعمال الفيلسوف الانجليزي "جون لوك" والفيلسوف الفرنسي "إستين كوندياك" وكان هدف إنشاء علم أفكار يقوم على دراسة مدى صحة أو خطأ الأفكار التي يؤمن بها الناس» [2] أي أن الايدولوجية هي تلك الأفكار التي بداخلنا نحملها بداخلنا ويمكن أن تكون صائبة كما يمكن أن تكون عكس ذلك .

تقول "حنّة أرنت": تعني الإيديولوجية l'idéologie حرفيا ما يعنيه اسمها، فهي منطق(logique) فكرة ما... اذ هي تعالج تسلسل وقائع كما لو كان يخضع للقانون نفسه الذي تخضع له طريقتها هي في عرض الأفكار [3]»، بمعنى انه: لو كان مثلا الجنس الأبيض هو وحده الذي يجب أن يستمر لأنه الأقوى فبطبيعة الحال كل من الجنس الأصفر أو الأسود وخاصة الأخير يختزل لأنه الأضعف، وهكذا...، نجد أن الإمبراطور الفرنسي "نابليون بونابرت" قد عارض وبشدة موقف ومصطلح الإيديولوجية حيث كان يسخر منهم وينعتهم بالإيديولوجيين، تحقيرا لهم لكل من يعارضه ويشكل خطرا على السلطة وقد قضى على "ديتراس" وأصدقائه لكي لا يبقى فكرهم منتشرا.

---

[1]– الموسوعة السياسية https://political-encyclopedia.org

[2]– المرجع نفسه.

[3]–داريوش تنايغان ما الثورة الدينية؟ الحضارات التقليدية في مواجهة الحديثة، ترجمة وتقديم د.رحموني، مراجعة د.مروان، دار الثقافي، الطبعة الأولى ص218.

ويرى "عبد الله العروي" أنّ الإيديولوجية هي: «علم الأفكار لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ استعارها الألمان وضمّنوها معنى أخر ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة في لغتها الأصلية ليس الغريب في هذا الحال أن يعجز الكتّاب العرب عن ترجمتها بكتابة مرضية، إن العبارات التي تقابلها منظومة فكرية، –عقيدة ذهنية–تشير إلى معنى واحد من بين معانيها[1]» أي أنها أفكار تتبناها جماعة للتعبير بآرائها واتجاهاتها، فهي عبارة عن مخزون فكري تعمل به، ربّما يكون من معتقدات سابقه أو قناع لعمل مصلحة ما.

قسم الكاتب "عبد الله العروي" مفهوم الإيديولوجية إلى أربعة أنماط:

«نمط سياسي، نمط اجتماعي، نمط معرفي، نمط مشترك بين الأنماط[2]». وهذا كلّه يدخل ضمن قناع الإيديولوجية الذي يحقق مصالح وغايات عند طبقة أو جماعة ما، فهي عبارة عن أوهام يغذي بها عقول الشعوب فكل هذا إمّا للهروب من قضايا أو تحقيق مصلحة ما.

أما "**كارل ماركس**" فيرى أن الشروط المادية هي التي تحدد البنى الفوقية للمجتمع والبنى التحتية؛ فهو فيلسوف جدلي يقوم بمبدأ التأثير والتأثر، لهذا نجد أن نشأة الأفكار عنده مرتبطة آليا بحركة الحياة الاجتماعية، وهو يؤمن بالجماعة لا بالفرد، ومن هنا يربط "**كارل ماركس**" الإيديولوجية بعلم الاجتماع من أجل تشييد فكر فلسفي مادي تاريخي، يقوم على نقد الألمان وخاصة "**هيغل**" حيث يقول: «تفسرون أوهام الآخرين بحب السيطرة والتقليد والعقلية الفاسدة، فكيف تفسرون نشوء فكركم النقدي، إنكم تقفون على أرضية فلسفة الأنوار، وتشعرون ماديتها و عقلانيتها، لكن ما كان جائزا في القرن الماضي لم يعد جائزا في عهدكم، أنكم تلغون التاريخ

1– عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، بيروت، 2012 طبعة 8 ص09.

2 – حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، الطبعة الأولى: 1990 ص14.

الواقعي وبإلغائكم إياه، تملؤون أذهانكم أوهام وتعرضون عن معرفه الواقع، ففكركم إذن إيديولوجي غير علمي[1]» ، ومعنى قوله؛ الفكر الألماني لا يرى أن المجتمع إنساني موحد

وإيمانهم بفلسفة الأنوار: هي أن يتحرر الانسان من عواطفه ويتبع عقله، وهذه الأخيرة تقوم على نظام طبقي، جعلت منهم مجتمع عنصري، وإلغائهم لتاريخ الواقعي قد الغوا تماما تطور عالمهم وواقعهم استنادا إلى الماضي. ويقول أيضا: «ومع هذا فباستطاعة الشيوعيين أن يلخصوا نظريتهم في هذا الصدد في هذه الصيغة الوحيدة وتلك هي: القضاء على الملكية الخاصة[2]» . وفي موضوع أخر: «تنادون بالملكية العامة وان شئت فالملكية الجماعية أو بمعنى أدق تنادوا بالملكية الاجتماعية اقطع لدابر السيطرة الفردية، واستغلال الإنسان للإنسان، وذلك هو صلب قضية التحرر عند الواقعية الاشتراكية في الأدب والفن، أو هو الخطوة الحتمية في تاريخ هذه القضية وهذا عصر اوانها» . [3]

غالبا ما تسمع كلمة "طوباء" أو "طوبي" وتقصد بها كلمة "مثالي" أو "خيالي"، هذا المصطلح في أصله هو عنوان لكتاب لمفكر انجليزي "«توماس مور»" كتب بالقرن السادس عشر وهي متكونة هذه الأخيرة من كلمتين يونانيتين التي معناها "اللامكان" «يوتوبيا نزعة المدينة الفاضلة وهي مؤسسة على الكمال المثالي أو الخيالي والتعبير مأخوذ عن كلمة يونانية تعني "اللّا مكان" ويصف نوعا ما من الأدب يصور مجتمعا مثاليا [4]»، و "توماس مور" عندما كتب هذا الكتاب كان يريد به أن ينقض الوضع السائد آنذاك بدأ بانتقاد **هنري** السابع ثم الثامن...الخ، وقد انتهت حياته بقطع رأسه. فاليوتيوبيا ليست كل شيء مثالي أو

1- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، بيروت، 2012 طبعة 8 ص37.

2- حلمى مرزوق الرومانتيكية والواقعية في الأدب «الأصول الإيديولوجية» 1983، -دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ص.ب، 749، ص72.

3- المرجع نفسه، ص 72.

4- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر تونس، 1986، ص 415-416.

غير قابل للتطبيق، ويمكن أن نقول إنّها واقع متجسد في صوره خيالية أو صورة مثالية ترمز للواقع، وهذه تمارس غالبا في الأنظمة "الديكتاتورية" للتعبير عن الواقع السياسي بدون خوف.

ولقد ارتبطت كلمة "يوتوبيا" بمصطلح الإيديولوجية على الرّغم ظهوره بعدها بزمن طويل «...بالتأكيد صكت كلمة "يوتوبيا" قبلها بوقت طويل لكن آل الأمر بالكلمتين إلى أن أصبح **مرتبطتين...**» [1] وكانت "اليوتوبيا" تتدخل باعتبارها مقابلا للإيديولوجية وفي نفس الوقت مرادفا لها: على سبيل المثال عندما بدأت الشيوعية –إحدى أهم إيديولوجيات القرن 20 – في الانهيار كان كثيرا ما يطلق على ذلك نهاية "اليوتوبيا"[2]»؛ بمعنى ذلك أنهما بنفس المعنى ويمكن أن تستخدم كلاهما (المصطلحين) على نظام سياسي معين أو فكر ما.

الرواية والإيديولوجية:

مفهوم الرواية اصطلاحا

تعد الرواية فن نثري قديم تقدم، لنا حكاية طويلة عن حياة شخصية أو أكثر، ولديها قطاع زمني واسع، قد تكون "واقعية أو فانتازية" أوكليهما معا. ظهرت الرواية في أوروبا في القرن الثامن عشر وارتبطت نشأتها بنشأة المجتمع الرأسمالي.

وفي معجم المصطلحات الأدبية: «سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية تشكل أدبا جديدا لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها، من تحرر الفرد من زيفة التبعيات الشخصية وتختلف الحبكة في الرواية عن الحبكة في الملحمة الكلاسيكية وملحمة عصر النهضة، فهي لم تعد مرتكزة على التاريخ

1– لايمان تاور سارجنت، اليوتوبية – مقدمة قصيرة جدا–تر: ضياء وراد مراجعة محمد فؤاد مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2016، ص117.

2– المرجع نفسه، ص 117.

الماضي أو الأساطير[1]»، بمعنى أن الرواية تخلصت من الخرافة والأساطير بدا من ظهورها مع بداية نشأة الطبقة البرجوازية.

وقد عرفها "عبد الملك مرتاض" بقوله: «الرواية من حيث هي جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة الشكل، تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكّل لدى نهاية المطاف، شكلا أدبيا جميلا إلى هذا الجنس الحظّي والأدب النثري[2]» أي أن الرواية تعد من الأدب الراقي لديه بنية تكوينية معقدة ومتراكبة في الشكل غير سهلة أو متداخلة منظمه، «نمط السردي، يرسم بحثا إشكاليا، يقيم حقيقة لعالم متقهقر، في تنظيم لوكاتش[3]».
وفي تعريف آخر: «الرواية هي الطابع المشابه، عند "كريستيفا" في عملها عن نص الرواية، حيث وجدت وحدة العالم، ليست حدثا، بل هدفا يقتحمه عنصر دينامي»، يعرفها "لوكاتش" بقوله: «الرواية الشكل الأدبي الأكثر دلاله على المجتمع البرجوازي[4]».

أ. الإيديولوجية في الرواية:

سيطرت الإيديولوجية في وقت ما على الطبقات الاجتماعية وقامت بتوجيهها في جميع مناحي الحياة، والى الآن لا زلنا نجدها عاملا مؤثّرا إلى أبعد الحدود، وحتما ستؤثر في الفن كونه ينتج بتأثيرها.
يقول "**حميد الحميداني**": «الإيديولوجية في الرواية تكون عادة متّصلة بصراع الأبطال بينما، تبقى الرواية كإيديولوجية تعبيرا عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الإيديولوجيات المتصارعة

1- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر تونس، 1986، ص 177.
2- عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية، ص 27.
3 -سعيد علوش، معجم مصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب، ص 102-103.
4- فن الرواية، ملحمة العصر الحديث، 2017/03/24.

نفسها[1]»، أي أن الرواية كإيديولوجية تظهر وتكشف عندما ينتهي الصراع بين الإيديولوجيات الذي يتبناها الشخوص الرواية، عكس الإيديولوجية في الرواية.

تحدث "ماشيري" في كتابه: "من أجل نظرية الإنتاج الأدبي 1965" تصور حول علاقة الرواية بالإيديولوجية، وقد أعطى مفهوم المرآة عند "لينين" «يلاحظ أبحاث "لينين" استخدمت ثلاث مفاهيم أساسية المرآة، الانعكاس، التعبير، وبإمكانها أن تقود بناء نقد علمي للأدب[2]».

ولكن "ماشيري" قام بنقده كآلاتي: «المرآة عند "لينين" جزئية لأنها تقوم باختيار ما تعكسه، بمعنى أنّها لا تعكس الحقيقة الكلية الموجودة في الواقع[3]»؛ بمعنى أنها تعكس جزءا فقط لا تعطي تغطية كاملة للواقع بل القليل منه. وهذا ما عبر عنّه بقوله: «إن المرآة تعبيرية، لأنّها لا تعكس، أكثر مما هي تعبير: لأنها لا تعكس[4]»، أي أن الأدب لا يخرج عن نطاق الأدبية لينقل لنا الأحداث كما هي ويتبع خطوة بخطوة، وحدثا بحدث، لأنه ليس تقرير حقيقة أو تقريرا تاريخيا، إذا قمنا بنقل الواقع بحذافيره يفقد الأدب أدبيته ويميل إلى مجال التأريخ.

الرواية هي وليدة العديد من الأنظمة السائدة في المجتمع، فهي تتأثر بما يحدث من الأحداث والوقائع، وبالرّغم من ذلك لديها جانب آخر، فهي معبرة أكثر عن الطبقة البرجوازية، وهنا أيضا نجد الروائي يتأثر بإيديولوجية معينه، والتي تعتبر جزءا من شخصيته وانتمائه وثقافته المستمدة من البيئة التي يعيش فيها، لأنه لا يوجد مكان خاليا من الإيديولوجية تماما.

تقول "**فادية لمليح**": «لإدراك النقاد العلاقة الوثيقة بين الأدب والإيديولوجية وهي علاقة مكونات كل منهم وعلاقة غاية وهدف ووسيلة الأداء، وقبل هذا وذاك الإنسان المبدع الحامل التلقائي للإيديولوجية التي توجه سلوكه وتظهر في كل ما يصدر عنه[5]» أي أن كل إنسان

1- حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، الطبعة الأولى: 1990 ص37.

2- المرجع السابق، ص 25.

3- المرجع نفسه، ص 25.

4- المرجع نفسه، ص 29.

5- فادية المليح الحلواني، مقالة الحامل الإيديولوجي في الرواية، رقم العدد 420 – إصدار 1 سبتمبر 1998.

لديه إيديولوجية يؤمن بها وهي وليدة لظروف معينة في المجتمع ربمّا تكون معه أو ضده وهذه الأخيرة تظهر في سلوكيات كتابات الحامل لها.

ب. رواية كإيديولوجيا:

ونقصد بها موقف الكاتب أو الروائي من خلال طرح الأفكار التي تلعبها الشخصيات والتي تعبر عن إيديولوجيته في قالب جمالي خفي: «فإن الإيديولوجية تدخل الرواية باعتبارها مكونا جماليا لأنها هي التي تتحول في يد الكاتب إلى وسيلة لصياغة عالمه الخاص[1]»، فالنص الروائي بطبعه يحمل العديد من الأفكار والمواقف لأنّه يقوم على فكرة إستراتيجية: «مفهوم تعددية اللغات أو مفهوم تعددية الأصوات[2]» أي أن الروائي، في نصه، يعبّر عن العديد من الإيديولوجيات المختلفة المجسدة بطريقة إبداعية خاصة من الواقع من خلالها يتيح لنا رؤيته للعالم فتضح لنا مرسوم إيديولوجية.

الرواية التاريخية والتخييل التاريخي:

أ. مفهوم التاريخ:

يقول "**ابن خلدون**": «إن الإنسان هو الذي يضع التاريخ، إذ أنّ التاريخ علم قائم بذاته له أساليبه الخاصة في البحث وعند هيغل التاريخ دراسة فلسفة متمايزة من الدراسة التجريبية ذلك إن وصف التاريخ وصفا للوقائع وهو إدراك لأسباب التي من أجلها حدثت هذه الوقائع وعند " توينبي" التاريخ هو العلم الذي يبعث في الحياة التي تحياها الوحدات البشرية أي المجتمعات، وفي العلاقات القائمة بينها»[3].

ويقول **عبد الله العروي:** «نعتقد تلقائيا أن لا فرق بين التاريخ –الوقائع والتاريخ – الأخبار، هذا يعني التاريخ لا ينفصل عن الإنسان وبخاصة الإنسان المتخصص الذي

1– حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، الطبعة الأولى: 1990، ص33.

2– المرجع نفسه، ص 49.

3– مفهوم فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ص 5.

نسميه بالمؤرخ. في هذا السياق لا يمكن تقديم التاريخ على المؤرخ فهما متلازمان ولذلك تتكلم عن عهد لا تاريخي أو قبل تاريخي، عن عهد لم يكن فيه لا مؤرخ ولا تاريخ»[1]؛ أي أن التاريخ والمؤرخ متلازمان معا.

التاريخ هو: «خطاب حول ما وقع في الماضي، والاقتراب منه لا يعني بتاتا القبض على أحداث تاريخية واقعية حدثت فعلا في الماضي، فهو يعتبر ضربا من ضروب السرد ونمط من أنماط الحكاية عن الإنسان وأحواله في مختلف أنحاء حياته السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية»[2].

وتقول "هايدن وايت": «إن أحداث التاريخ إمّا أن تكون وقعت بالفعل، وإمّا أن يعتقد أنها وقعت بالفعل، غير أنه ما من سبيل لإدراكها بصورة مباشرة»[3].

ولقد كان علم التاريخ جزءا من التقدم والازدهار الثقافي، وجزءا من الأدب خاصة: «فأسلوب رواية أخبار التاريخ عن أيام العرب في الجاهلية هو الأسلوب القصصي شبيه للتاريخي، فمن المؤرخين الروائيين قديما (وهب بن منبه اليمني. ت: 114 ه) الذي يصفه (يقوت الحموي) بالإخباري صاحب القصص، فقد كان يروي قصصا شفوية عن الأنبياء القدامى، تعد لبنة أولى للقصة التاريخية، ومادته في ذلك –كما يذكر المؤرخون–هي الإسرائيليات، ويذكر (ياقوت الحموي) أن (وهب بن منبه) ألف كتابا موسوما بـ: (كتاب الملوك) المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم)، وكان قاصا قدم أقاصيص وأوردها كأنها تاريخ، وبهذا ادخل عنصر السرد إلى حقل التاريخ، ومما لا يجعله مؤرخا ميوله للمبالغة وتهويل الحقائق»[4].

---

1 –عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الطبعة الرابعة 2005، الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ، ص 33.

2– سليمة بالنور، مجلة الدراسات المعاصرة –رواية سمرقند–لامين معلوف بين السرد التّاريخي والتّخيلي– المجلد 5/العدد: 02، جامعة العربي التبسي بتبسة، (2021) ص02.

3–المرجع نفسه، ص 02.

4– المرجع نفسه، ص02.

ب.مفهوم الرواية التاريخية

يعرف **"جورج لوكاتش"** الرواية التّاريخية بأنّها: «رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم الصادق بالذات»، وجورج لوكاتش يقدم هذا التوصيف للرواية التاريخية في معرض حديثه عن رواية الكاتب الايطالي **مانزوني** "المخطوبات"، وهذا التوصيف يعكس هدفا من أهداف اللجوء إلى الماضي ألا وهو أثاره الحاضر من خلال الماضي»[1].

يعرفها **"الفرد شيبارد"** بقوله: «تتناول القصة التاريخية الماضي بصورة خيالية، يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن على شرط ألا يستقر هناك لفترة طويلة إلا إذا كان الخيال يمثل جزءا من البناء الذي سيستقر فيه التاريخ[2]، وهذا التعريف يؤكد آن الرواية التاريخية هي رجوع للماضي من أجل إعادة إنتاجه مجددا إنتاجا يتجاوز حدود التاريخ فهنا يلعب التخيل دورا في إحيائه وتساهم في ذلك اللغة أيضا.

أما **"جونثان فيلد"**، فيعرفها بقوله: «تعتبر تاريخية عندما تقدم تواريخ وأشخاصا وأحداثا يمكن التعرض إليهم»[3].

يرى **"يبكر"**: «أن الرواية التاريخية تلك الرواية الذي تتناول عادات بعض الناس، مكتوبة بلغة حديثة»[4]، بمعنى التاريخ هنا ماده يشكلها الكاتب أو الروائي بلغة فنية حديثة.

ويرى **"محمد نجيب"** أنّ الرواية التاريخية هي استعادة تخيلية للتاريخ، فيقول: «تتناول القصة التاريخية الماضي بصورة خيالية، الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن على شرط ألا يستقر هناك لفترة طويلة إلا إذا كان الخيال يمثل جزءا من البناء الذي يستقر فيه التاريخ»[5]؛ بمعنى هي إعادة بناء خيالية للماضي حيث تتداخل شخصيات حقيقية تاريخية مع شخصيات خيالية.

1- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن: 2006 ص 111.

2- المرجع السابق، ص 111.

3- المرجع نفسه، ص 113.

4- المرجع نفسه، ص 114.

5- علاوة كوسة، تجليات التاريخي في الرواية العربية مجلة مقاليد العدد 13ديسمبر 2017-ص 02

وجاء في معجم المصطلحات الأدبية تعريفها كالآتي: «ليس معناها العميق الحدوث في الزمن الماضي، فهي رواية تستحضر ميلاد الأوضاع الجديدة، وتصور بداية ومسار أو قوة دافعة في مصير لم يشكل بعد، وهي عمل يقوم على توترات داخلية في تجارب الشخصيات تمثيلا لنوع من السلوك والشعور الإنساني في ارتباطها المتبادل بالحياة الاجتماعية والفردية، وهي تمثل بالضرورة تعقيدا وتنوعا في الخبرة والتجربة، وهي تختلف أيضا عن ذلك النوع من الروايات الاجتماعية التي تتطلب استقرارا، فلكي تصنع تلك الروايات شريحة من الحياة يجب أن يكون الواقع مستقرا هادئا أن تحت منبع الروائي... تقوم الرواية التاريخية باستخلاص فردية الشخصيات من الطابع التاريخي الخاص لعصرهم لا من مجرد أزياء العصر ...الخ»[1] .

ت. التخييل التاريخي في الرواية التاريخية:

تعد العلاقة التي تربط السرد والتاريخ علاقة متينة، وهي عبارة عن إخراج تاريخ من شكله الكلاسيكي المادي، وتضفي عليه أو له "شعرية" في إطار ما يعرف بالتاريخانية الجديدة، لأنّ « علاقة الأدب بالتاريخ قديمة جدا، ويظل التاريخ عبر العصور ملهم الثقافات، وخزانا أثريّا يستسقى منه الروائيون أعمالهم، ينهلون منه الحوادث شكلت منعطفات هامة في مرحلة أو أكثر، يتخذونها مشكاة لهم ينطلقون من خلالها الى عوالمهم الروائية الشاسعة يبنون عالما متخيلا بحيث يهندسونه بطرائقهم الخاصة، وأساليبهم المبتكرة؛ حتى لا تكاد تنافس التاريخ المفترض، أو المدون باعتبارها تاريخا تخيلا»[2] . ويقول "عبد الله إبراهيم": «آن الأوان لكي يحل مصطلح "التخيل التاريخي" محل مصطلح "الرواية التاريخية"، فهذا الاحلال سوف يدفع بالكتابة السردية التاريخية إلى تخطي شكل الأنواع الأدبية، وحدودها ووظائفها، ثم إنّه يفكك ثنائية الرواية والتاريخ، ويعيد دمجها في هويّة السردية الجديدة»[3].

1- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر تونس، 1986، ص 177-178.

2- عواد علي وهيثم حسن، مجلة الجديد، الرواية والتاريخ استلهام التاريخ في كتابة ARAB Publishing center، لندن، العدد 60، يناير كانون الثاني 2020، ص 08.

3- عبد الله، التخيل التاريخي، السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية الطبعة، 2011 بيروت، ص 5

ونجد أن الروائي والمؤرخ يختلفان عن بعضهما البعض حيث أن: «تعامل المؤرخ مع التاريخ مختلف، فإذا كان همّ الأول السعي وراء الأحداث والوقائع ولتسجيلها كما هي، فإن هّم الثاني البحث عن الأحداث المنسية، وإعادة قراءتها وكتابتها بشكل يتوافق ورؤياه الخاصة، فإن المؤرخ مشغول دائما بكتابة التاريخ السلطة، تاريخ النصر والهزيمة، أما الروائي فهو شغوف لكتاب تاريخ منسي، تاريخ القيم والأفعال النبيلة التي تستعبدها السلطة واتهمتها كي تحافظ على جبروتها اللامتناهي»[1].

أي أن الروائي يعيد لنا صياغة التاريخ من وجهه نظر المهتمين من طرف السلطات في ذلك الوقت، الذي ينساه المؤرخ ولكن ليس بشكل كلاسيكي فينزهق منه بل على شكل:

«فالنص الناجح هو ذلك الذي يوظف هذه الموضوعية التاريخية على أساس أنها خلفية لأحداث، تعطي الحدث طعمه وموضعيته، ولا تعطل جماليته الفنية»[2] .

ويقول "محمد القاضي" إنّ: «المؤرخ وان خيّل يظل متحركا في المجال المرجع، أما الروائي فإنه وان رجع إلى الواقع ماضيا أو حاضرا يظل خطابه مندرجا في حقل التخيل، فالتاريخ يقدم على أنّه انعكاس وصياغة لفظية لأحداث واقعة، أما الرواية فتقدم على أنها إبداع وإنشاء لعالم محتمل، حتى إن الروائيين إذ خشوا أن يرى القراء تماثلا بين النص والواقع أشاروا إلى أنّ أي شبه بين الأحداث المروية والواقع محض صدفة»[3]، وقد حدد ثلاث خصائص لضبط هذا الجنس رواية الرواية التاريخية « المحدد المرجعي: فالرواية تقوم على عقد ائتماني يجعلها منتمية إلى كون متخيّل، أما الرواية التاريخية فهي تجمع بين التخيل والواقع التاريخي والنصي، محدد الوظيفي: فالرواية يمكن أن تكون خادمة للتاريخ وهو ما نجده عند "خرجي زيدان" الذي يريد أن يعلم التاريخ بالرواية. ويمكن للرواية أن تستخدم التاريخ وهو ما يجسده "نجيب محفوظ" في رواياته التاريخية الأولى، أن تحاكي التاريخ وهو ما نجده عند "جمال الفطاني" "في الزين بركات" نص يسعى إلى محاكاة "بدائع الزهور"

1- طانية حطاب جدلية التاريخي والمتخيل في رواية الكتاب الأمير لواسي الأعرج، مجلة العلوم العدد 04، ص 02.

1-المرجع السابق، ص 02.

3- محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، مدير دار معرفة النشر بدر الدين دبوسي، ص 86.

لابن إلياس إغراقا في التأمل وحث على تحسس الأجوبة، والمحدد الدلالي: إن دلالة الرواية التاريخية لا تتأسس على ما يقوله نصها وحسب، وإنما تقوم أيضا على ما يحيل إليه النص التاريخي في إعطائها»[1].

وقد ظهر هذا النوع الأدبي في الرواية الجزائرية بداية من "محمد ديب"، "كاتب ياسين"، "مولود معمري"، ...الخ، أما في الرواية المكتوبة باللغة العربية فنجد أمثال: "الطاهر وطار" «الزلزال واللاز» "وعبد الحميد ابن هدوقة" «ريح الجنوب» فالكتاب الجزائريين في مرحلة من مراحل حياتهم رأوا بأن هذا النوع يساهم في التعبير عن خلجاتهم وآرائهم خاصة في فتره الاستعمار.

1- المرجع نفسه، ص 80-81.

الفصل الثّاني:

الإيديولوجي والتّاريخي في الديوان الإسبرطي

أ-مدخل

ب-قراءة في غلاف الرواية

1- مفهوم الديوان

2-مفهوم الإسبرطي

3-العلاقة بينهما وسبب اختيار الكاتب هذا الاسم

ج-صراع الشخصيات الإيديولوجي

1- ديبون

2-كافيار

3-إبن ميّار

4-حمة السّلاوي

5-دوجة

مدخل:

يشهد العالم المعاصر اهتماما بالتاريخ وقضاياه، ولم تكن الرواية الجزائرية بعيدة عن هذا الاهتمام، إذ نرى إقبال الروائيين على التاريخ القريب والأقل قربا برؤى تختلف على مدى السنين من تصوّرات حول الماضي، إذ نلحظ ميل الروائيين الجزائريين المعاصرين إلى تسليط الضوء على فئة من المجتمع وهم المنبوذون الذين يعانون من الحاقة والشّقاء والمهمّشون من قبل العالم، وخير دليل على قولنا هذا رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي التي اختطف جائزة البوكر بتميّز سنة 2020، وقد أثارت هذه الرواية جدلًا لدى النّقاد والسّياسيين وتعرّضت لهجوم لاذع من قبل تيار واتّجاه سياسي معروف بولائه للزعيم التركي "أردوغان"؛ ففي اعتقادهم قد أساء الروائي إلى الخلافة الإسلامية بوضعها في تساو مع الاحتلال الفرنسي، على الرّغم أنّ الرواية تتناول أحداث تاريخية تتحدّث عن ما عايشته الجزائر خلال الفترة الممتدّة 1815-1830؛ أي أنّها مرحلة تجمع بين الوجودين العثماني والفرنسي، وكما نعلم فترة الحكم العثماني في الجزائر لم يؤرّخ لها جيّدًا ممّا أدّى إلى وجود ثغرة فارغة في التاريخ يمكن لأي شخص أن يقوم بملئها على حسب ما تخدمه من مصالح، وهذا ما قام بتقديمه الروائي من رسائل مضمرة ومقصديات مباشرة وغير مباشرة في ظل ما ينسجم مع أفكار مذهب التاريخانية الجديدة التي ترى أنّ النصوص « تحمل في طايتها أنساقا جمالية رمزية، يبدو أنّها تحوي رسائل مضمرة ومقصديات مباشرة أو غير مباشرة، تحيل على سياقها الثّقافي والاجتماعي والسياسي والايدولوجي»[1]؛ أي أنّها خطابات تضمر أفكارا ومقولات يتوجّب على الباحث كشفها والوقوف عل أسباب السّكوت عنها والغاية من ذلك. وتبرز أهمية التاريخانية الجديدة «في الفضاء المعرفي المنتمي لما بعد الحداثة»[2]؛ إذ تضع نصب أعينها الصراعات الإيدولوجية والقوى السياسية التي كانت مهيمنة ومسيطرة على الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها النص الأدبي. وبعبارة أخرى فَـ «التاريخانية الجديدة،

[1]– إيمان برقلاح مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، كلية الآداب واللغات قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد الأول، ص1.

[2] – المرجع نفسه، ص1.

كظاهرة ثقافية ذات الدلالات سوسيو ثقافية المحدّدة، يمكن حصرها ودراستها وتأويلها»[1]، ولقد كانت التاريخانية من أهم النّظريات الفكرية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حيث كتب فريدريش منيكيه Friedrich.M عام 1963 في « مقدمته النوستالجية لكتابه الجليل: ظهور التاريخانية، أنّ التاريخانية كانت واحدة من أعظم الثورات الفكرية التي شهدها الفكر الغربي»[2].

لقد أراد التاريخيون أن يكون التاريخ في نفس المستوى مع العلوم الطبيعية، حيث جاء في القول: «زعموا أنّ لديهم أساليبه ومعايير المعرفة الخاصّة به، التي تختلف عن تلك العلوم الطبيعية»[3].

وقد أبدى د.عبد الباسط طلحت رأيه بقوله: «هو محاولة لإعادة الاعتبار للتاريخ داخل النص الأدبي والنقدي، الذي فوضته البنيوية»[4].

فالتاريخانية الجديدة تسعى إلى الكشف عن الأنساق المضمرة داخل النص الأدبي، كما يفعل التحليل الثقافي الذي يعمل إلى «بعدٍ يذهب إلى ما هو أبعد من النص ليحدد الرّوابط بين النص والقيم من جهة، والمؤسسات والممارسات الأخرى في الثقافة من جهة أخرى»[5].

تقول إيمان برقلاح على العموم، «فقد جاءت التاريخانية الجديدة كنقدٍ للتاريخانية القديمة، وتقويض للمدارس الفنية والجمالية، ونقدٍ للتيارات الشعرية والبنيوية، والنّصية المغلقةّ، التي كانت تُعنى بشكل من الأشكال بالبنيات الصورية المجرّدة، ومن ثمّ؛ فهي مقاربة متعدّدة

---

[1] – المرجع السابق، ص2.

[2] – فريديريك بيزر، التاريخانية، ترجمة عمرو بيسوني، مركز نهوض الدراسات والنشر، ص 06

[3] – المرجع نفسه، ص06.

4 –طلحة، مجلة كفاية للغة والأدب، النقد الثقافي –النشأة والتطور، مجلد01، العدد 02، ديسمبر 2021، ص9.

[5]– المرجع نفسه، ص 09.

الاختصاصات، تشبه إلى حد كبير النقد الثقافي، ونظرية ما بعد الاستعمار ونظرية المادية الثقافية»[1]. باختصار هي ثورة فنّية نقدية.

يشير الناقد لويس مونثرو إلى أنّ «التاريخانية الجديدة تقوم على ربط النص بشبكة العلاقات الداخلية المعقّدة لثقافة الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها، لغرض الكشف عن طبيعة التشكلات الاجتماعية والصراعات الايديولوجية في تلك الحقبة، ومعرفة موقع النص ودوره في تلك الصراعات التاريخية»[2]، أي أنّ: القراءة التاريخية للنص الأدبي هي حضور المكوّن الثّقافي في تحليل النص الأدبي وربطه بالسياقات التاريخية التي أنتجته؛ أي الاهتمام بالسياقات والظروف التي تحيط بالنص الأدبي.

وقامت التاريخانية الجديدة على جهود الفيلسوف ميشال فوكو وهو فيلسوف فرنسي، حيث «وظّف التاريخانيون الجدد ثلاث استراتيجيات (لفوكو): مفهومه للخطاب، وبناء السلطة والمعرفة، وإشكالية موضوعات الدراسة البشرية، وذلك لتعيين موضوع الأدب والنصوص الأدبية في سياقهما التاريخي والاجتماعي»[3]. ويعرف فوكو الخطاب بأنّه: «حقل مؤسساتي ومجموعة أبحاث وممارسات وقرارات سياسية، سياقات اقتصادية. حيث تظهر تغيّرات ديموغرافية، وتقنيات مساعدة واحتياجات إلى اليد العاملة»[4].

نستنتج مع غرينبلات أنّ النص الأدبي جزء من «الخطاب السائد ومن الجدلية الثقافية التي شكّلته؛ فهو يعيد إنتاج الجدلية الثقافية في المجتمع ويساهم في تشييدها في آن واحد»[5]؛ أي أنّ: النص الأدبي جزء من الخطاب الذي سيعيد تشكيله لاحقًا وفق المصالح التي تخدم مؤسساتها.

---

[1]– إيمان برقلاح، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، العدد الأول، ص02.

[2]– المرجع السابق، ص06.

[3] – لمياء عيشو، المدوّنة، مدخل إلى التاريخانية الجديدة، المجلد 8، العدد: 1مارس2021، ص 07–08

[4] – المرجع نفسه، ص08.

[5] – المرجع نفسه، ص08.

ومن التآريخيين البارزين في القرن التاسع عشر، «العصر المناسب للتاريخانية: جورج ليبور، وليوبولدفون رانكي، يوهان غوستاف دروزن، ويلهلم دلتهي، جاكوب بوركها ردت، ومؤسسو المدرسة التاريخية في القانون: فريديريش سافيني، كارل فريديريش، إيشهون سافيني، التاريخيون الرئيسيون في القرن الثامن عشر، الذين صاغوا البرنامج أوّل مرّة هم: جي إيه، شلادينوس، كريستوف غاتيرر، جاكوب فيغلين. كان هناك العديد من الآباء الروحانيين للتاريخانية والمفكّرين الذين كانوا محوريين في تكوين أساليبها وأفقها رغم أنّهم لم يدعموا أجندتها صراحة. كان منهم: يوهان جورج هامان، يوهان جوتفريد هيردر، وفللهلم فول هومبولث، وغوستوس موزر، وإيه دبليو ريبيرج"[1].

اهتمّ الباحث يورغن بيتزر بدراسة مبدإ التفاوض هذا في كتابه (لحظات التفاوض): «تاريخانية شيفن غرينبلاث الجديدة»[2]؛ أي: لا يوجد أفضلية لنص أدبي ما بمقوّماته الفنية على غيره من النصوص، أي هناك دائمًا حوار تفاعلي تفاوضي التي أنتجتها ثقافة ما ضمن لحظة تاريخية معينة.

ومن المصطلحات الأخرى «شعرية الحياة اليومية التي استعارها غرينبلاث من عالم السيميائيات الروسي المعروف يوري لوثمان ...، وتعني أنّ النص أو الخطاب يلتقط ضمن مراقبته السياقية، دراسة الأنماط والتشكلات الثقافية ضمن حقبة معيّنة، حيث يلتقط النص ما هو مهمّش»[3].

كما تدافع التاريخانية الجديدة عن: «فرضية ارتباط النص الأدبي بايدولوجيا العصر، لأنّ الأدب هو انتاج أيديولوجي، يتواجد في علاقة مع اللغة، ومختلف أشكال استعمالها،

[1] – فريدريك بيزر، ترجمات التاريخانية: مركز نهوض الدراسات والنشر، ص07–08.

[2]– إيمان برقلاح، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة خنشلة، النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، العدد الأول، ص06.

[3] – المرجع نفسه، ص07.

فهو إنتاج لا يوجد إلّا بالعلاقة مع ايديولوجيا التاريخ»[1]؛ بمعنى أنّ الكاتب يتأثّر بإيديولوجيا العصر وأفكار المجتمع الذي ينتمي إليه، وهنا إمّا أن يكون خادم أو مضلل لرأي.

التاريخانية الجديدة أصبحت «كنظرية في القراءة والتأويل، من حيث أنّها تسعى إلى أرخنة النصوص ... وتنصيص التاريخ»[2]؛ أي تبحث في الدلالات الثقافية التاريخية، وتعيد في التاريخ روح النّصية وتخرجه من الجمود الذي فيه.

سعت التاريخانية الجديدة إلى القطع مع عصر التنوير الذي هيمن في فترة ما على الحياة الفكرية الأوروبية خلال القرن 18 «لم تكن التاريخانية هي التيار الفكري الوحيد الذي هاجم التنوير، إلّا أنّها كانت الأكثر فعالية»[3].

اتّهم النقاد التاريخانية الجديدة «بأنّ لها علاقة ماكرة بالنظرية، وسبب هذا الاتّهام هو كون التاريخانية الجديدة تفعل الأشياء ذاتها التي تنتقدها في ممارسة الماركسية»[4]؛ أي أنّ التاريخانيون متورّطون بشكل أو بآخر للسياسة؛ فهي ترفض السلطة وألاعيبها والماركسية في أصلها الثورة على ألاعيب السياسة تداخلها مع النظرية.

لا شيء جديدا في التاريخانية الجديدة، لأنّها أخذت وزوّدت نفسها من تخصصات أخرى مثل: التاريخ، الماركسية، بسبب أنّها: «استمدّت ممارستها النقدية من التخصصات الأخرى ... وأعادت تعبئتها كمنتجات جديدة، وتخلّصت من العلامات المستخدمة للتّعرف على العلامات التجارية الأصلية»[5]، وهذا يؤكّد: «رجعية التاريخانية الجديدة وعدم مسايرتها لموجة ما بعد الحداثة»[6] ثنائية الجدة والتقليد في التاريخانية الجديدة.

---

[1] – لمياء عيشو، المدوّنة، مدخل إلى التاريخانية الجديدة، المجلد 8، العدد: 1مارس2021، ص14.

[2]– عبد السلام للعجال، الأثر، تحولات القراءة من الأدبي إلى الثقافي في رحلة البحث عن المعنى، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، العدد34 ، ديسمبر 2020، ص08.

[3]– فريدريك بيزر، ترجمات التاريخانية: مركز نهوض الدراسات والنشر، ص16.

[4] – لمياء عيشو، المدوّنة، مدخل إلى التاريخانية الجديدة، المجلد 8، العدد: 1مارس2021، ص15.

[5] – المرجع نفسه، ص15.

[6] – المرجع نفسه، ص15.

كما تتداخل التّاريخانيّة الجديدة مع الحقل السياسي، إذ يشاع عنها « أنّها نقد سياسي بالدرجة الأولى وأنّها نسخة ماركسية غير ناضجة»[1]. هناك من النقاد يرفض أن تكون علاقة بين الأدب والسياسة، حيث يؤكّدون أنّ: «الأدب وبصورة موسعة النقد إمّا أنّهما لا يفارقان السياسة مثاليًا أو هما ببساطة سياسات عندما تفك شيفراتها كما ينبغي»[2]؛ بمعنى أنّ النقد الذي يرتبط بالسياسة هو سياسة أيضا، وهذا ما أدّى بهم إلى رفضها.

إضاءة:

«هنا نحتاج فقط إلى التذكير بالمشروع الأصلي للتاريخانية، وهو جعل التاريخ علْما؛ إذ حقق التاريخانيون نجاحا ملحوظا في محاولة تحقيق الهدف، على الأقل جعلوا التاريخ مادة أكاديمية معترفًا بها وتدرس في جميع الجامعات، وتتمتّع بالمكانة نفسها التي تتمتّع بها العلوم الطبيعي،

لا يحتاج المشككّون إلّا لتقدير الصعود الملحوظ للتاريخ بمثابة فرع معرفي أكاديمي في ألمانيا منذ بدأت الحركة في منتصف القرن الثامن عشر»[3].

قراءة في غلاف الرواية

يحمل غلاف العمل السردي دلالات متعدّدة من ناحية موضوعية وجمالية لها علاقة بالمحتوى، فهو يحيط القارئ بموضوع الرواية كفكرة أوّلية، ضف إلى ذلك يعد عملا فنيا جماليا بامتياز قائما بحد ذاته، وقد أولى الكتاب عناية خاصّة بوضعه وذلك لأهميته في بناء الرواية، حتى أنّهم، في بعض الأحيان، يقومون بالمشاركة في تصميمه، وهذا دلالة على أنّ المؤلف له ذوق فني ويمتلك خلفية بصرية تساعده على اختيار شكل ولون الغلاف الذي

[1] – المرجع نفسه، ص15.

[2] – المرجع نفسه، ص14–15.

[3] – فريدريك بيزر، ترجمات التاريخانية: مركز نهوض الدراسات والنشر، ص25.

يعبّر عن أحداث الرواية، لكن في بعض الأحيان نجد دار النشر هي التي تتكلّف بذلك حسب ما يتماشى مع تسويق الرواية؛ مثلا قد تضع على الغلاف عدد الجوائز التي أخذتها الرواية، عدد الطبعات، وقد وقع على هذا جدل كبير بين الرافض والمؤيّد.

ويمكننا تقسيم صورة الغلاف إلى: العنوان، اسم المؤلف والصورة التشكيلية، وقد جاء هذا في قول جيرار جينيت: «صفحة الغلاف في أربع صفحات تشتمل الأولى على مجموعة من المعلومات كاسم المؤلف أو المؤلفين، سواء أكان حقيقيا أو مستعارا، وعنوان العمل، والمؤشر الجانبي، واسم أو أسماء المترجمين أو المقدمين، وكتابة عنوان دار النشر، ورقم الطبعة، وقد يرد ثمن الكتاب ، أمّا الصفحة الثانية أو الثالثة، وهما صفحتان داخليتان لا تشتملان على معلومات كثيرة ما عدا المجلات والكتب الدورية، أمّا في الصفحة الرابعة من الغلاف والتي تعتبر من المناطق الإستراتيجية في التعريف بالكتاب، فقد يعاد التذكير بكل البيانات التي وردت في الصفحة الأولى»[1].

إذن، فالعنوان عبارة عن رسالة «وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، فيساهمان في التواصل المعرفي والجمالي. وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفكّها المستقبل، ويؤوّلها بلغة الواصفة، وترسل هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال، ويمكن، في هذا السياق، الاستفادة من وظائف اللغة، كما أرساها رومان جاكبسون»[2].

من خلال هذا التعريف أو القول سنحاول دراسة غلاف رواية 'الديوان الاسبرطي' لعبد الوهاب عيساوي، ونقدّم قراءة تحليلية من وجهة نظرنا.

من الوهلة الأولى، نلاحظ أنّ صورة الغلاف تحمل ألوانا رمادية باهتة تدرج ما بين الأبيض والأسود، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على الكلاسيكية والتاريخ، فمن المعروف

[1]– فريد حلمي، مكونات الغلاف ومدى قابلية القراءة والتأويل (بين العتبة والتهميش)، المجلد15، العدد02، جوان2019، ص02.

[2]– جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، الطبقة الثانية، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، الناظور، تطوان المملكة المغربية، ص23.

أنّ الألوان: الأبيض والأسود إشارة إلى القِدم المميّز، وقد أطلق هذا المصطلح على الأفلام الكلاسيكية أو التلفاز القديم (noir et blanc) ، وهي إشارة إلى أنّ الرواية تحمل ما بداخلها تاريخا طويلا وحافلا بالأحداث، كما أنّ اللون الأحمر، في أعلى الصفحة، يخطف النظر ويثير الانتباه، خاصّة وقد كتب بداخله "الجائزة العالمية للرواية العربية البوكر2020" ومرسوم أعلاها كتاب بشكل كلاسيكي، ثم نجد كتابة أخرى وسط دائرة مكتوب فيها الطبعة السادسة، وهذا دليل على عظم الرواية واستهلاك القراء لها، ثم نلاحظ بتعمق لوحة تشكيلية مأخوذة من الواقع وصيغت بصياغة جديدة مثيرة للانتباه، تتكون هذه الصورة من ديوان في القصر؛ نرى رجالا واقفين، يتوسّطهم رجل بزي عربي فخم–عبارة عن قفطان يغطي الكاحلين مفتوح من الأمام بحزام على الخصر وضع فيه سيف، وعلى رأسه عمامة بيضاء– حاملا بيده مروحة من الريش ومشيرًا بيده الأخرى إلى رجل يقف أمامه، من هندامه "الروكوكو" وهذه الكلمة تعني "الديكور في شكل قذيفة"؛ وهو عبارة عن بنطالون ضيق ومعطف طويل بفتحة من الخلف مع ارتداء جوارب بيضاء طويلة وحذاء أسود، بوقفة مندهشة وغاضبة، وذلك من خلال عينيه السوداوين وكأنّهما ظلام، وهناك رجل حامل ستارَ الباب بلباس "الكراكو" وطربوشاً على رأسه، ذو شنب كبير، وعدّة من الأشخاص على الطرفين يشاهدون الموقف باستغراب، كذلك تحمل الصورة زخرفة من الأعلى وشبابيك، وهذه اللوحة الفنية تشبه حادثة ما، ألا وهي حادثة المروحة، التي كانت ذريعة من فرنسا لاحتلال الجزائر «في عيد الفطر ذهب إلى تهنئة الداي كما جرت التقاليد بذلك، تبعًا لذلك، فقد كان يجيد اللغة التركية لأنّه نشأ في القسطنطينية، فكان تبعًا لذلك يتحدّث مع الداي دون واسطة مترجم. وبعد أن قدّم ديفال التهاني، حدّثه عن حجز الرياس لباخرة تحمل العلم الفرنسي، فأثار الداي مسألة التحصينات العسكرية التي قامت بها فرنسا في المركز التجاري بالقالة، والتي تهدف حسبما سجّله الانكليز حينذاك إلى إعداد نقطة احتلال في الجزائر، ثم سأل الداي إن كان لم يتلق جوابًا على الرسالة التي كان وجهها الداي، إلى الحكومة الفرنسية حول قضية بوشناق وباكري، فما كان من القنصل إلّا أن أجابه يقصد الاستفزاز: إنّ ملك فرنسا لا يتنازل لمراسلة داي الجزائر. وكان الداي جالسا، والقنصل واقفًا على بعد مسافة محترمة، فصرخ فيه اخرج

يا رومي، وتحرّك الداي حركة غضب وسخط، لمست من جرائها ريشة في طرف المروحة القنصل، فاغتنم القنصل هذه الفرصة وانسحب مهدّدا بأنّه سيبلّغ كل شيء لحكومته»[1].

ثمّ، بعد ذلك، يأتي في منتصف الصفحة وبلون بني فاتح اسم الروائي مكتوبا بالحرف اللاّتيني ثمّ العربي ، وهذا دليل على شيئين إمّا أنّ الروائي متأثر باللغة الفرنسية مثل جميع الجزائريين– ففي الجانب اللاشعوري أو اللاّوعي يخرج لنا صناديق سوداء مخبئة بداخلنا، وهذا نتيجة لمخلّفات الاستعمار الفرنسي على عقولنا و هويتنا حتى إلى يومنا الراهن، فنحن لم نبرأ من آلامنا السابقة – أو أنّه أراد للأجانب قراءة اسمه وهذا احتمال ضعيف لأنّ الرواية التي بين أدينا غير مترجمة، بل مكتوبة باللغة العربية، أو احتمال ثالث وهو الإشارة إلى ما تحتويه الرواية بداخلها، لأنّها تتحدّث عن الحملة الفرنسية... الخ. ويبقى هذا ربّما الاحتمال الأرجح؛ بالإضافة إلى أنّ الخط الذي كتب به اسمه بالعربية هو خط حر وقد يعكس اعتقاد الكاتب بأنّه انسان حرٌ في وجهة نظره ورأيه أو التعبير والتحقيق في قضايا سابقة طرحت أسئلة في رأسه لم يجد لها إجابة إلّا بالغوص في الأعماق، ونرى أسفله عنوان الرواية مكتوبا بلون أسود كبير وبخط ديواني: «سمي هذا الخط بالديواني لاستعماله في الديوان العثماني الهمايوني السلطاني، فجميع الأوامر الملكية والإنعامات (الفرمنات) التركية سابقا تكتب به، وكان هذا الخط في الخلافة العثمانية سرًا من أسرار القصور السلطانية لا يعرف قراءته إلّا كاتبه، أو من ندرة الطلبة الأذكياء»[2]. وقد استعمله الروائي، ربّما، كدليل على أنّه يوجد العديد من الأسرار يجب البوح بها والتّقصي في صدقيتها أو الدلالة على الكيان العثماني في الجزائر في فترة سابقة وعرضه له في متن الرواية، وما نلاحظه أنّ العنوان فيه نوع من الغرابة، وتتبادر إليك تلقائيًا أسئلة: ما علاقة الديوان بإسبرطة؟ وما علاقة اللوحة التشكيلية بالعنوان؟ هذه العلاقة أعطته ميزة وتفرّدا. وقد حمل

[1]– مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، الناشر مكتبة النهضة الجزائرية، ص272–273.

[2]–خالد خالدي، سامية غشير، مسرح الجمال في عالم الخط العربي بين الأقلام الستة والخطوط العاجمية، المجلة الفنية، 2019، المجلد04، العدد02، ص06.

العنوان وظيفة إيحائية «وتسمى بالوظيفة الإشهارية، حيث يكون الكتاب مناسبا لما يغري، جاذبًا قارئه المفترض، وينجح لما يناسب نصه، محدثا بذلك تشويقًا وانتظارًا لدى القارئ»[1]، وكذلك قد يحمل وظيفة تعليلية حيث «فلا بدّ للكاتب أن يختار اسما لكتابه ليتداوله القرّاء، وقد تكون هذه الأسماء مطابقة لنصوصها أو تكون بها بعض المراوغة، الأمر الذي يتطلّب الحفر في طبقاتها قصد فهم تلويحها وتلميحها»[2]. وسنقوم بتفكيك العنوان كالآتي:

1-مفهوم الديوان:

هو عبارة عن جهاز إداري مكوّن من الصدر الأعظم وهو وزير السلطان، بالإضافة إلى الطبقة الحاكمة، أمّا «منذ انتصاب الحكم العثماني بالجزائر وانتصاب أوّل إيالة مغربية تدخل في المجال العثماني. كان لزاما وضع نظم إدارية جديدة لتواكب هذه التطوّرات، فكان إنشاء الديوان لتنظيم أمور الحكم»[3].

2-مفهوم الإسبرطي:

نسبة إلى إسبرطة، وهي دولة في اليونان تقوم على مبدإ السلاح والقتال «رغم أنّ مدينة إسبرطة بالقرب ومجاورة لأثينا إلى أنّه ليس لها ما يستحق الذكر في الجانب الحضاري سوى أنّها امتلكت جيشًا قويًّا، كان ازدياد ثروة الدولة وتوسع نفوذها الواقعي والمعنوي على ما جاورها من المدن الإغريقية أحد النتائج المباشرة لأن تتحول إلى دولة عسكرية أو أن يحكمها العسكر»[4].

---

[1]- مصطفى أحمد قمبر، خطاب العتبات في ديوان الملاح التائه لعلي محمد طه، العنوان أنموذجاً، المجلد 04، العدد 02، ص04.

[2] - المرجع نفسه، ص04.

[3] - فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر، المجلد الأوّل، عدد خاص، أفريل2019، ص 3-4

[4]- بن أعطى الله عبد الرحمان، ماجستير تاريخ الحضارات، جامعة الجزائر02، ص04-05.

3-العلاقة بينهما وسبب اختيار الكاتب هذا الاسم:

بما أنّ كلمة **الديوان** مصطلح إداري استعمل في فترة الحكم العثماني، وكما هو معروف أنّ هذا النظام يقوم على مبدإ الصرامة والانضباط المدني والعسكري ، كما أنّ الجزائر كانت تقوم على القرصنة والسلاح ولا توجد بها تجارة قويّة، وهذا وجه الشبه بينها وبين إسبرطة، كما صرّح الكاتب في لقاء تلفزيوني له ضمن حصة "معاكم في دياركم" بأنّه استلهم العنوان من أحد شخصياته الرئيسية "كافيار" الذي بقي مسجونا في الجزائر و حُرّر في حملة اللورد إكسماوث، وظلّ في الجزائر لكي يقرأ المدينة من أجل أن يكون مهندس هذه الحملة، كان كل ما كتبه جمعه في "ديوان إسبرطة"، وقد كان مولعا بالتاريخ اليوناني، إذ «لم تقم إسبرطة إلّا في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، ولم تشتهر إلّا بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الجديدة التي أسّسها الدوريون في "لافونية"، كان هؤلاء الغزاة من الشمال يمتازون بالقوّة والشدّة ولا يعرفون وسيلة أخرى للحياة سوى الحرب فأخذوا يفرضون سيادتهم بقوّة السيف على أهل البلاد»[1]، وقد جاء ذلك أيضا على لسان ديبون: «الإسبرطيون كانوا أشبه بالعثمانيين في إفريقية، أمة لا تقوم إلّا على قوّة السلاح، والأتراك فقط من يمتلك كل شيء، أمّا العرب فلم يكونوا إلّا عمالا في مزارعهم ربما كان الأتراك أنفسهم أقرب إلى الدوريين، بينما كان العرب مثل الأيونيين، ولكن الحقيقة التي اتّفق الجميع حولها، أنّ تلك المدينة البائدة لم تكن سوى ثكنة كبيرة كانت هذه المقارنة تكاد تكون حقيقية في ذهني وربّما في ذهن كافيار»[2].

ونصل إلى أنّ هذا الكتاب هو هندسة وتخطيط لاحتلال الجزائر منذ أن كانت مجرّد فكرة حتّى أصبحت حقيقية، وهذا كلّه لشدّة إصراره وتمسّكه بحلمه، وقد وقع اختيار الكاتب لشخصية كافيار على غرار الشخصيات الأخرى للكشف، منذ البداية، عن نيّة الاستعمار وليس كما قيل إنّ حادثة المروحة هي السبب، فقد جاء نتيجة لتخطيط وعمل كبير، وهذه

[1]- محمد كامل عيّاد، تاريخ اليونان، الجزء الأوّل، الطبقة الثالثة، دار الفكر، ص171.

[2] -عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، الجزائر، دار ميم للنشر، 2018، ص185.

خيانة كبرى للذين آمنو بهم وصدّقوا أنّها مجرّد حملة عادية. إذا فالفرنسيون هم أنفسهم الدوريون الذين شبّههم كافيار بالأتراك، فهم أبشع بكثير من العثمانيين.

وبهذا يقول "ديبون"عن عنوان الكتاب الذي رأى كافيار يقرأه، والذي ورد فيه نفس العنوان 'الديوان الإسبرطي': «استيقظت في آخر الأسبوع رأيته يتمطّى غير بعيد مني، يطالع، كتابا مختلفا، أقرأ عنوانه وأصعد إلى السطح، متناسيا ما قرأته، وظهر العنوان، فجأة يحاصرني: الديوان الإسبرطي»[1].

الإهداء:

يعد إحدى العتبات الداخلية للرواية، يلجأ إليه الراوي للاعتراف بفضل الآخرين عليه، وقد يكون إهداء إلى نفسه؛ أي إهداء ذاتي لكنّه من النّادر أن نجده، وهو نوعان «إهداء العمل؛ أي إهداء المطبوع هو موضوع البحث، وإهداء النسخة الذي يكتبه المؤلف بخط اليد»[2]، ونجد إهداء العمل في جميع النسخ لأنّه مطبوع في الرواية، على عكس إهداء النسخة الذي يُكتب بخط يد الكاتب على نسخة واحدة باسم الشخص، وذلك بمثابة هدية من الكاتب نحو القارئ، ويكون ذلك في معظم الأحيان في حفلات التوقيع.

جاء في الإهداء، في رواية الديوان الإسبرطي، ما يأتي: «إلى روح الصديق الشاعر والناقد **حميد ناصر خوجة**، أهدي هذه الرواية ذكرى أحاديث لم تنتهي»[3]، وقد جاء بصيغة واضحة وبسيطة لصديقه، وهذا دليل لمحبّته الخالصة وصدق وفائه للراحل حميد ناصر خوجة. ونلحظ، من كلامه، أنّه حزين جدًا لوفاته وانتهاء أحاديثهم، وجاء هذا العمل كتكملة لذكرى أحاديث لم تنته.

---

[1] –الرّواية، ص184.

[2] – عيسى عودة برهومة، بلال كمال عبد الفتاح: سيمائية الإهداء –دراسة نماذج من الرواية العربية حولية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للشباب، الاسكندرية، العدد الثاني والثلاثين، 2016/04، ص27.

[3] – الرواية، ب، د، ص.

صراع الشخصيات الإيديولوجي:

الآخر في رواية الديوان الإسبرطي:

يرى الظاهر لبيب «أنّ العربي، عندما يصبح في موضع مسألة أو في موضوع المنظور إليه، فأوّل ما يعبّر عنه هو عدم ارتياحه، يختار من النظرات أكثرها تشويها لصورته ...، إنّه يذكر بصورة تلك المرأة الجميلة إلى روى مونتيسكيو أنّ مشيتها مشية مستقيمة، ولكنها تعرج كلّما نظر إليها أحد»[1].

وقد أكّد «سارتر أنّ الكينونة الذاتية تعتمد بطريقة مخجلة على نظرة الآخر وتحديقه، والآخر بالنسبة له هو غير الذات، كيان مستقل عنها، أمّا بالنسبة لاكان Lacan، فهو ما أسماه بمرحلة المرآة، وهي في جوهرها صراع بين الذات والذات ومحيطها الخارجي، ولكن الآخر من وجهة نظر بول ريكور هو أحد مكوّنات الذات، وإنّ الذات عينها كآخر يوحي منذ البداية بأنّ ذاتية الذات عينها تحتوي ضمنا الغيرية إلى درجة الحميمية»[2].

والرواية التي بين أيدينا (الديوان الإسبرطي) خير دليل على الصراع، وجسّدت عنصرية الغرب (الفرنسيين) نحو العرب أو نحو الشرق، فهي مثال حي وواقعي على همجية الغرب واستبداده ومحاولة فرض نفوذه على الدول الضعيفة باستخدام الحيل والذرائع، وحتّى أنّهم جسّدوا ذلك في كتبهم ورواياتهم؛ فالواقع لم يكفهم، فحاولوا تشويه الصورة أكثر فأكثر «والمتصفّح لأعمال روائية غربية كثيرة، ولأدباء غربيين كبارهم من أمثال: لويس برثراند، أندري حييد، هنري مونترلان ... ويتحسس الصورة البائسة التي رسمها هؤلاء الآخر الغربي عموما والجزائر خصوصا حيث، البطل السلبي هو الجزائر الذي أخرج من دائرة الفعالية التاريخية وديناميكية الحياة ليصبح مجرّد ديكور شبيه بالأحجار والحيوانات»[3]

---

[1]– عائشة العشمي، حضور الآخر في الخطاب الروائي الجزائري، قراءة في رواية 'شرخات بحر الشمال' لواسيني الأعرج، مجلة التواصلية–العدد الثامن، ص13.

[2]– المرجع نفسه، ص13–14.

[3]– عبد المجيد حنون، علاوة كوسة، الواقع الغربي في المتخيّل الشرقي، قراءة في كتاب 'صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مجلة مقاليد، العدد11، ص81.

وقد تمثّل الآخر، في رواية "الديوان الإسبرطي"، في نقيضين: الأوّل ضد الحملة، أو نصحح القول إنّه مع الحملة، ولكن ناشر للسلام والدّين المسيحي وعدم القتل وإزهاق الأرواح ويمثّله **"ديبون"**؛ والثّاني يريد تحويل الجزائر إلى مستعمرة من المستعمرات الفرنسية، وهو مع الحملة ومع قتل الجزائريين لتطهير البلاد، وهو الضابط الفرنسي **"كافيار"**.

1-ديبون: (Dupond)

شخصية فرنسية، صحفي، يعمل في "لوسيمافور دومارساي" Le Soir de Marseille، وهي جريدة قديمة، مسيحي معتدل، قد وُلي أمر تغطية الحملة كمراسل حربي من أوّل الاستعداد لها من يوم 27 أفريل، حيث بدأ بوصف الجنود: «كانوا يشكلون صفوفًا طويلة احتلّت الشارع الرئيس للمدينة يهتفون بصوت واحد، منتظرين القائد، بالأمس كان الكثير يجهله واليوم أضحى بطلًا حتى قبل إقلاع السفن»[1]، أي أنّ حملة الجزائر كانت استثنائية لديهم، في اعتقاد **ديبون**، وما هي إلّا خلاص للعرب من العثمانيين، وكسر قيد العبودية، ومنحهم سيادتهم من جديد، وقد نرى ذلك في الرواية، حيث جاء في العديد من المقاطع بأنّها حملة خير لا احتلال مثل: «لكنّي اليوم متفائل، وأنا أرى الملك أكثر ميلًا من سابقيه إلى مبادئ الرّب، يريد إعادة المجد لهذه الأمّة التي أفقدها نابليون الكثير من سمعتها، ولم يكن هذا المشروع إلّا بداية لإنهاء العبودية التي جعلها الأتراك في أعناق أبناء المسيح، نعم المسيح الذي يدافع الملك عنه، لأنّه من سلالة القديس لويس التاسع»[2]، وقد بارك الحملة رجال الدّين «ترجّل الجميع عن أحصنتهم في مواجهة القس الكنيسة طولون، عانقه القس بحميمة ..... وقف القس حينها إلى جوار القائد، ينظر إليه ويحدّثه مثل صديق: أنا حزين يا سيدي القائد، فلو لم أجاوز سن الشباب لأبحرت معكم، أصلّي لكلّ خطوة تخطونها، وأمنحكم مباركة الربّ لمشروعكم في نشر كلمته وإعلائها في إفريقية»[3]، كلّما كان **ديبون** يرى رجال الدّين ودعمهم للحملة يطمئنّ قلبه، ويسكن خاطره من هواجس الأفكار التي زرعها في رأسه

[1]- الرّواية، ص97.

[2]- الرّواية، ص102.

[3] - الرّواية، ص98.

كافيار، انتمى **ديبون** سياسيًا الى آل بوربون، حيث أنّه كان يرى فيهم وجها آخر للمسيح «اليوم الأوّل من ماي، ونحن الآن في يومه الثاني، والناس تتجمّع في الشارع الرئيسي لطولون، أكاد أ جزم أنّ هذه الأمّة لن تعرف مجدًا مثل الذي يحدث الآن، الأمّة كلّها تجمع على ملكيتها، ونرى فيها تجليا للمُخلص»[1]، وقد كان ضابط البحرية وقباطنها ضدّ هذا الحاكم، فتمنّى ديبون في نفسه: «ليت من في البحرية ينزلون إلى شوارع طولون أو مرسيليا أو حتى ليون ليرو بأعينهم، كيف يهتف الناس والجنود لآل البوربون*»[2]، وهذا كلّه يزيد من حماسه للوصول إلى إسبرطة والتغيير فيها نظام الحكم السائد هناك لطرد آل عثمان، وقد شبّه نفسه بالحواريين أصحاب نبينا عيسى –عليه السلام– «أصرّ تجار مرسيليا وطولون على إرسال جزء من سفنهم لدعم الحملة، بينما انحنى الصيادون أمام القس طلبوا مباركة الربّ قواربهم، كلّ العالم اتّفق قبل أيّام قليلة، والرب كان في ركابهم ثمّ تحرّكت سفينة تجاه إفريقية، تحمل التعاليم الجديدة التي ستغيّر الناس، سنكون حتما مثل أولئك الحواريين الذين تفرّقوا في بقاع الأرض لنشر كلمة الربّ»[3]، نلاحظ هنا أنّ الكلّ يشارك في الحملة ويتطوّع، إمّا بجنود أو بمؤن أو حتى سفن، وما ندركه من كلام ديبون أنّه أرادها حملة تنصيرية، أي تنصير الشعب الجزائري وطمس دينه، وهنا تتبادر إلى أذهاننا عدّة تساؤلات: هل حقيقة ديبون كان على غرار كافيار وبني جنسه؟ أو أنّ كلّ شخص يحارب على الطريقة التي يجيدها، ولكن الجوهر واحد؟ المسلّم فيه أنّ الصحفي كان ضد إراقة الدم وهذا ما يتجلى في كلامه في العديد من المواضع: «وددت لو يصلون إلى إنهاء هذا الخلاف، كرهت إراقة الدماء، لم يشأ الربّ أن تسفك في سبيل إعلاء كلمته»[4]، يهرب **ديبون** من سخرية الضباط منه ومن أفكاره، فقد كان لا يستوعب فكرهم الدموي والقاسي «لم أحتمل وجوههم الساخرة،

---

[1] – الرّواية، ص102.

* آل بوربون: هم من حكموا فرنسا بعد نابليون بعد أن استرجعوا الحكم المسلوب من قبله.

[2] الرّواية، ص102.

[3] – الرّواية، ص171.

[4] – الرّواية، ص17.

فانسحبت إلى الغرفة واستلقيت هناك بقية اليوم، قررت أنّي سأكمل أحلامي وحيدًا، سأخرج من الباب في أثر الحواريين، ثم أجلس إلى جانبهم في حقل الزيتون، وسأقاسمهم الخبز والخمر، وربّما يصحبونني إلى قيافي بعيدة، وهناك يمكنني قول ما أريد لأنّه بالتّأكيد لن يختلف عن الوصايا التي يحملونها»[1]، وقد رسم في عقله أنّهم لا يختلفون عن الإسبرطيين إلّا في أشياء قليلة «كل يوم يزيد يقيني أنّ بعض القباطنة لا يختلفون عن القراصنة الأتراك إلّا في صفات قليلة، بالنسبة إليهم العلاقات الإنسانية هي منابع متجددة للمال والسلطة، صرّت أؤمن أنّ بعضهم لم يشارك في الحملة إلّا من أجل الذهب»[2]، وهنا يدرك أنّ لكلّ شخص في هذه الحملة وجهة نظر تختلف عن الآخر، مثله الأعلى الإنكليز وحبّهم لهم كان أكثر من حبه لنابليون الّذي كان، في نظره، وصمة عار على الفرنسيين «بل آمنت ذلك الكورسيكي الذي اتفقوا على أنّه أعظم قادة أوروبا، لم يكن إلّا مجنونا يركض خلف أحلام لا حدود لها، لذا حملت في نفسي أشياء أكثر نبلا لبورمون»[3]، وفي موضع آخر نجده يقول: « هزم نابليون في واترلو واحتفظت به منتصرا في قلبك، بينما مازالت أراه مجنونا كاد يقود، العالم إلى الهلاك، وانتصرت للملك الجديد ومازالت وفيا لعائلة البوربون، وكنت ميالا للبحرية، بينما افتخرت في كتاباتي بالمشاة واحتضنت العلم الثلاثي الألوان، ولم يغادرني حبي للعلم الأبيض و افتتنت أنا بالأمة الانجليزية»[4]. ومن أهم الأسباب التي جعلته يحترم الإنكليز ويكنُ لهم الوّد ما جاء على لسانه:« لطالما كنت مؤمنا بمجد الأمة، بينما كان الجميع يراها عدوا لنا لكنني أبصرت بجلاء كيف سعوا إلى إنهاء العار الذي بقي لصيقا بنا نحن الفرنسيين، أن يستعبد الإنسان إنسانا آخر لأنه يختلف عنه في لون البشرة أو لأن أسباب الحضارة لم تجتمع لديه أصرَ العالم المتحضر على الاحتفاظ بهذا العار»[5]، ونجده،

[1] – الرّواية، ص172.

[2] – الرواية، ص186.

[3] – الرواية، ص96.

[4] – الرواية، ص27.

[5] –الرواية، ص101.

أيضا، يذكر المعاهدة أو اتفاقية "ربوديجانيرو" ولتحريم العبيد « بدءا من طائفة الكواكر، وصراع النواب في المجلس اللوردات من أجل تثبيت قوانين تحريم الرَق ولم يتفقوا حتى صادقوا عليه منذ اثنين وعشرين عاما. آمنت أن اتفاقية "ريودي جانيرو" كانت أفضل ما فعلوه، إذ انضمت اليوم البرتغال والسويد والدانمرك، ونحن يا "كافيار" متى استيقظنا؟ كان ذلك بعد عشر سنوات، وافقنا على مضض، ثم أضاء لنا النور الحقيقي مرة أخرى حينما عاد الاكريليوس»[1]، وكتعويض عن هذا في رأي "ديبون" بأنه سيخلص الجزائر من الرق: «الأمجاد التي ابتدأها الإنجليز ليس عليهم احتكارها وحدهم، نحن مطالبون أن يكون لنا قسم من إعلاء كلمة الرّب. صحيح أننا آخر من أمضى المعاهدة إدانة القراصنة، وآخر من التزم بعهود إلغاء الرَق، وأننا من سمح لذلك المجنون أن يشعل الحرائق في أوروبا. ولكن نحن أيضا من سيحمل هذا النور إلى الضفة الأخرى»[2]. وقد أدان الملك "لويس الثالث العشر" حين يراه بأنه هو أول من سمح باسترقاق الناس « ولا يمكننا انتقاد الإنكليز حينما يتعلق الأمر بتحرير العبيد، دائما كانوا أسبق في ذلك وملكنا " لويس الثالث عشر" هو الذي شرع الباب قبل قرنين على هذا العار وأمتنا العظيمة تظل ترفض الاعتراف بمجهودات الإنجليز»،[3] وقد أحب "ديبون" قائد الحملة "بورمون" لأنه لا يفكر مثل الضباط الفرنسيين، بل على عكسهم يريد نشر السلام وإعلاء اسم الرّب: « يخطب "بورمون" إن الرجل العربي قد عاش سنوات طويلة مضطهدا من زمرة غاشمة و سيجد فينا نحن المحررين، وسيلتمس تحالفنا وبهذا لم تدم الحرب إلا زمانا قليلا ولن تسفك إلا دماء أقل»[4]، ولكن عندما وصل "ديبون" إلى ساحة المعركة ونزلت القوات في ميناء سيدي فرج، في 25 جوان 1830، تغيرت جميع أقواله، حيث أنه لم يحتمل رؤية الدماء والجثث من حوله تتطاير وكل الأمنيات التي تمناها كانت ألّا تسفك الدماء عند وصوله « كانت كل أمنياتي ألَا تسفك الدماء عند

[1] – الرواية، ص183.

[2]– الرواية، ص:182.

[3]– الرواية، ص182

[4]– الرواية، ص107 .

نزولنا، حين تبدت القلعة من سطح لونا جور»[1]، وأيضا: «كل ما أرجوه استسلام المدينة دون أن يراق الدم»[2]، ولكن ما حدث أنها أصبحت مدينة من الدماء، الموتى في كل مكان أتساءل أين وعود الحاكم "بورمون"؟ وخطاباته؟ التي لطالما آمنت بها يا "ديبون"! وقد وصف ساحة المعركة معبرا « قذيفة واحدة تجعل الفارس يتطاير بحصانه قطعا، أشيح ببصري ويضحك "كافيار" الواقف قربي مرددا، ما الذي أتى بك إلى هناك يا "ديبون"»[3]، وقد استغرب من الرَسامين الذين يؤرخون للمعركة برسوماتهم «استغرب بأن هناك من يغامر من أجل لوحة يخلد بها مشاهد القتل» [4]، فالمكان يحاصره من كل الجهات القتلى والصراخ وأصوات المدافع، يمكن لرائحة الدم أن نشمها من مكاننا هذا «كلما التفت إلى جهة أفرغ من منظر الأجساد المنثورة من حولي، وروح الله لم ترف على السهل الأحمر، بل غادرته، هل هذا هو النور الذي أتينا به لهذه الأمة؟»[5]. وعندما وصل الجنود والضباط إلى مدينة "المحروسة" وهدَموا الحصن « صليت لنفسي كي لا يسيل مزيد من الدم، وتستسلم المدينة دون مقاومة، خشيت أن يتكرر ما حدث في سطاوالي حينها لن أسامح نفسي أنني سرت في ركاب الحملة، وسيلازمني تأنيب الضمير ما حييت»[6]، لكنه قد أصيب بإحباط وخيبة أمل، لأن ما حصل في المحروسة أشنع بكثير « أين فرحة المسيح ونوره الذي آمنت به يوم رحيلي عن مرسيليا مثل حاج يهدف إلى أورشليم ؟ أو مثل حواري يغادر المدينة تخبئ الوصايا تحت ثيابه»[7]، بعد سنتين من مغادرة الجزائر، يكشف "**ديبون**" أن هناك جرائم أبشع مما حدث في سطاوالي وهي: «نبش القبور وتجارة العظام التي تؤخذ إلى مرسيليا»، وهذا بعد أن سلّمه الطبيب التقرير الطبي الذي أجراه جراء الإشاعات التي كانت تدور وقتها في مرسيليا. وبدأت

[1]– الرواية، ص245.

[2]– الرواية، ص256.

[3] – الرواية، ص 248.

[1]–الرواية، ص 248.

[2]–الرواية، ص253.

[6]–الرواية، ص 254.

[7] – الرواية، ص 260.

القصة بعد أن استدعى المدير "**ديبون**" وخاطبه بقوله: «يبدو أنَ أصدقائي القدامى حين فرغت جيوبهم من الذهب ملئوها بالعظام!»[1]، وقد أخبره بأنه سيرافق الطبيب إلى باخرة "جوزيفين" «أتعرف باخرة بون جوزيفين؟

– لعلّي سمعت بذلك.

– لم تبق الكثير على رسوها بالميناء قادمة من الجزائر وسترافق الطبيب هناك».[2]

وقد دار حديث بينه وبين الطبيب:

«يقال أنّ الباخرة تحمل عظاما بشرية؟

– أهي لجنود أوصوا بذلك؟

– لا بل لمصانع السكر، يقال إنها تستعمل لتبييضه.

– ذهلت وأنا أسمع كلماته:

– أتعي ما تقوله سيدي الطبيب؟!

– أنا هنا من أجل هذا، ما عليك إلا مرافقتي إلى الميناء».[3]

يتحدث "ديبون" إلى نفسه «أريد إقناع نفسي بألاَ أثق في هذه الإشاعات ولكن الضمير يحتم عليَ المعاينة، أنا خائف من وزر هذا العار، أنت تعلم أنه ليس عارنا الوحيد، وكل الأمم لها ما يسوئها من المثالب، كلها أوجدت لها المبررات، ولكن أي شيء يبرر بيع عظام أمة أخرى وبدعوى مثل التي تشاع؟!»[4]، ثم يجد "**ديبون**" أن المبرر هو المال لأنه إله جديد وهو متأكد من هذا لأنه عاش معهم مدة من الزمن واستقصى وضعهم «إن المال إله جديد، يغريك كي تحفر القبور وتأكل عظام إخوتك بدعاوى كثيرة، وإني لموقن أننا سنجدها بالباخرة، ليس لأن لي نبوءات صادقة بل لأنني عرفتهم بصدق، وعن كثب »[5]، بعد أن

[1] – الرواية، ص15.

[2] – الرواية، ص، 15

[3] – الرواية، ص، 16

[4] –الرواية، ص، 17

[5] – الرواية، ص، 17

دخلا السفينة وقدّما التصريح، شرعا بفتح الصناديق، تفاجآ بهول المنظر« كانت عينا الطبيب تحدقان في كومة العظام أمامه، ثم مدّ يده تستكشف أولها، وما كان في حاجة أن يقلبها كثيرا، بدت من أول وهلة أنها فك إنسان، وضعها جانبا ... عيناه كانتا تقوّلان كل شيء، افترش الأرض وأشار إلى أقرب العظام إليه: هذه ساق طفل لم يتجاوز العاشرة، والأخرى تبدوا لشاب... لك أن تفخر الآن أصبحت مقابرنا حقولا وعظامنا غلالك»[1]، هذه الأعمال المنكرة التي استعملها الاستعمار الفرنسي في الجزائر للأسف حقيقة وقد كتبها "امريت"1833 التي أصدرتها "لوسيما فور"، وقد ذكرت هذه الحادثة في العديد من المراجع التاريخية منها كتاب « كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي» "لعلي محمد صلابي"، وقد ذكرها في قوله: « وتجرؤوا كذلك على نبش القبور لاستخراج, الآجر والأحجار للبناء, ولأخذ عظام الموتى لصنع السماد وبيعها في مدينة مرسيليا»[2]

ويمكننا القول إن هذه القبور قد استغلت داخليا وخارجيا والحجارة التي بنيت بها قد استعملت في البناء، والعظام كسماد ويتم بيعه إلى تجار فرنسا. وورد في موضع آخر من الكتاب نفسه: «شاع بين الناس أن عظام موتى هذه المقابر شحنت لفرنسا لاستعمالها في صناعة السكر فقد ذكر "جوليان": أن طبيبا فرنسيا بمرسيليا صرّح أنه شاهد على الباخرة "جوزيفين" في مارس1833، وجود شحنة آتية من الجزائر، تتكون من عظام بشرية، جماجم وفكاك وعظام فخذ وعظام زنده وغيرها، وكلها عظام بشرية... وشاع أن هذه العظام المستخرجة من المقابر الجزائرية تستعمل في صناعة السكر الأبيض»[3] وقد جاء في كتاب "عثمان بن حمدان خوجة" المرآة « بعض الأعمال التي تمت أثناء ولاية " الجنرال كلوزيل": « ففي عهده– أي عهد الجنرال " كلوزيل"– نهب الأموات من مدافنهم وسمح بالاتجار بالعظام البشرية، وبيعت حجارة المقابر ثم نقلت إلى باب الوادي لتحول إلى مادة الجير ووقع

[1]– الرواية، ص، 21

[2]– علي محمد صلابي, "كفاح الشعب الجزائري, ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية" الأولى, ط1– دار المعرفة, بيروت2017 ص277.

[3]– الرواية، ص 399

الاستيلاء على آجر المقابر»[1] وقال أيضا: « هناك من يرى أن الحكومة الفرنسية لم تسمح بانتهاك المقابر إلا لحقدها على ديننا، فيما يخصنا فانه لا يوجد أي اعتبار يمكن أن يسمح بتجريد الأموات من لباسهم الأخير وتشتت عظامهم في التراب»[2]. وعندما تولى RAVIGO «المسؤولية في الجزائر نفّذ تعليمات وزير الحربية بإقامة مراكز دفاعية حول المناطق الخاضعة مباشرة للسلطة الفرنسية، كما عبد طريقا يمتد من وسط العاصمة إلى دلي إبراهيم تسببت في تخريب عدد من المقابر فكانت ترمى الجثث على قارعة الطريق»[3] ومن قام بهذا الفعل الشنيع هم المالطيون، عندما نشر "**ديبون**" مقاله، تهافت الناس عليه من كل صوب لقراءته وللقاء الوكيل المدني: « ثم رأيناهم في نزولهم، قرأ الناس كل شيء على وجوههم، ضجوا ثم صمتوا» وقد أخبر الطبيب "**ديبون**" : « لن ينتهي الأمر عند هذا الحد يا سيد "**ديبون**"، ولن تتوقف تجارة العظام كن متيقنا من هذا! ... أنظر إلى الرصيف، قد أضحى خاويا، هؤلاء يجمعهم الفضول وتفرقهم الحقيقة»[4] وهنا نستنتج أن حادثة مروعة مثل هذه لم يلتفت إليها الرأي العام الفرنسي بل تجاهلها وصمت على عكس حادثة القنصل "**ديفال**"! هل الاتجار بالبشر أهون بكثير من اهانة شخص؟ هل تعذيب الإنسان يكون في حياته وحتى بعد أن يموت لا يجد راحة؟ أي دين هذا الذي قد جلبتموه؟ وأي سلام؟ بعد حادثة الاتجار بعظام البشر قرر "**ديبون**" أن يعود «ثم حسمت أمري وقررت الرحيل»[5] وجاء في صيغة أخرى «بقائي في مرسيليا ولعامين لم يحدث شيء، مدينة تستيقظ وتنام على تجارتها، ما الذي يدعون إلى البقاء هنا وآلاف من الأفكار تحثني على العودة إلى المحروسة، سأعود يا "**كافيار**" تأكد أني لن أستسلم لك هذه المرة»[6]. عند عودته وجد الإيطاليين أخذوا فنادق

---

[1] – بن زينب آمنة–طالبة دكتورة– "واقع المقابر والأضرحة بمدينة الجزائر أثناء فترة الاستعمار 1850–1851"– المحلية الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية, المجلد3– العدد6– ديسمبر 2017 ص: 8

[2] – المرجع نفسه ص: 8

[3] – المرجع السابق، ص: 8

[4] –الرواية، ص 25

[5] –الرواية، ص28

[6] – الرواية، ص 27

المور* التي كان يحبها والمحروسة التي كانت بالأمس لم تعد مثل اليوم، تذكره للقائد "**بورمون**" وكيف أنه كان قائدا حقيقيا « عدت إذن للمحروسة... أسرعت إلى الفندق كي أرتاح، أحببت فنادق المور وقصدتها... بل إن الايطاليين أصبحوا أصحاب الفنادق الجدد... أين أنت يا "**بورمون**"»[1]، ثم ذهبا لزيارة الضابط "**كافيار**" لتقصي قضية العظام التي تتحول إلى السكر« في الشهر الأول زرت مكتب "**كافيار**"، أقبض جريدتي... لحظتها رميت الجريدة في وجهه، فأمسكها دون احتجاج وقرأ العنوان ثم رماها جانبا، وقال: مشكلتك مع المالطيين و ليست معي، لو لم تسمح لهم لما نبشوا القبور- ما دخلي أنا وظيفتي- هي إعادة بناء المدينة وليس التفتيش عن العظام»[2] ، وقد قرر "ديبون" في الأخير أن يصبح سيمونيا « وقدّر لي يومها لقاء السيمونيين القادمين إلى الجزائر... فسأكون سيمونيا مخلصا... فقط يمكن لأهالي المحروسة انتظار السيمونيين ليشيدوا معالم المجتمع جديد يعمه السلام والمساواة مع الفرنسيين... السيمونيون هم مستقبل الجزائر»[3] فباعتقاد "**ديبون**" أنه مثالي سيجعل العالم يعيش بمثالية مطلقة وهذا كلّه يلزمه الصبر. ذكر "**ديبون**" في جريدة الليبراليين* الذين كانوا ضد الحملة «أصحاب الجرائد الليبرالية في باريس كانوا يوافقون على البحّار، لطالما وقفوا ضد السلطة المطلقة للملك، ولم يروا في الحملة إلا أنها بحث عن المال، ليطيح الملك بمعارضيه»[4]. ولكن هنا يمكن طرح سؤال: ماذا لو كانت هذه "الجرائد الليبرالية" مع الملك ومع العائلة الحاكمة، هل كانت ستنتفض؟ أو ستكون ضد هذه الحملة؟ لا يوجد جواب صريح في أقوال "ديبون" يدل على أن هذه الحملة هي فقط حملة تخليص من

---

[1]- الرواية، ص 315-316

[2]- الرواية، ص 319

[3]-الرواية، ص 324.

***الليبرالية:** تلك الأفكار والمبادئ التي ظهرت مصاحبة لظهور الرأسمالية في الغرب, وخاصة في القرن السابع عشر على يد "توماس هو بزجون لوك" د/ محمد بن علي-الليبرالية في الفكر العربي المعاصر- جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة-كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية-المجلد الثامن العدد الرابع- جانفي2017

[4] - الرواية، ص100

الاستعمار التركي، لو أمعنا النظر في كلمات "**ديبون**": « أكاد أجزم أن هذه الأمة لن تعرف مجدا، الكل يريد أن يكون جزء من الحرب المقدسة، التي تبعت المجد...» [1] كلها تدل أنه مع الحملة وليس ضدها، وهو ليس بريئا تماما، بل غلّف بقالب الود والعطف ولكن في الأخير الكل يريد أن يصنع المجد لبلاده، هناك العديد من أمثال "**ديبون**" في الواقع الذين كانوا ضد جرائم فرنسا وليس ضد الاحتلال، أي لم يطالبوا بالاستقلال التام للجزائر، بل يريدونها جزائر فرنسية ونذكر من بينهم، أو على رأسهم، الفيلسوف "جان بول سارتر*" والذي ألّف كتابا أطلق عليه: «عارنا في الجزائر»، حيث يقول في إحدى صفحاته :« الشيء الوحيد الذي يجب أن نقدمه للجزائريين اليوم هو أن نؤازرهم في جهادهم لتحريرهم و تحرير الفرنسيين من وصمة الاستعمار البغيض»[2]، وذكر في موضع آخر« وأن نحكم على الفرنسيين بوصف واحد هو أنهم ذوو ضمائر فاسدة ربما نستثني منهم السيد موليه»[3]، وجاء في سياق آخر« أما الدرس الوحيد الذي تعلمناه من هذه الأحداث – نحن فرنسيي الوطن الأم– فهو أن الاستعمار يعمل الآن على هدم كيانه، ولكنه مازال سادرا في تعكير الجو. إنه عارنا، وهو يتنكر لمبادئنا ويظهرنا بمظهر ساخر أمام العالم، إنّه ينشر بيننا وباء العنصرية ، كما أثبتت ذلك حوادث مونيله اخيرا وهو يفرض على شبابنا بذل حياتهم رغما عنهم من أجل مبادئ النازية نحاربها منذ عشر سنوات»[4]، ونجد هنا قد قام بتعرية وفضح جرائم الاستعمار وقد كان خجولا بما تفعله فرنسا، فقد صرخ صرخة حق على استعمار ظالم تعرى من جميع صفاته الإنسانية وراح يمارس ساديته على الجزائر و شعبها، ولكن هل من

---

[1] – الرواية ص

[2] – جان بول سارتر، كتب ثقافية" عارنا في الجزائر، الناشر القومية للطباعة والنشر، شارع عبيد ص29

[3] – المرجع نفسه، ص: 38

*اليسار: مصطلح يتبنى فكر سياسي يتمثل في تغيير المجتمع إلى الأفضل ونشر المساواة بين جميع أفراده

[4] –المرجع نفسه، ص 28

الممكن لو كان الاستعمار الفرنسي يشبه الاستعمار الإنكليزي في مصر، هل سيقوم "سارتر" بالمطالبة بحرية هدا الشعب أو أنه سيبقى مدافعا للوصايا في الجزائر، وقد تأثر بالفكر السارتري العديد من الطلبة وتبنوه كمنهج ومنهم اليساريون*، الذين كرسوا حياتهم في فضح أساليب الاستعمار الهمجية، وساندوا الثورة ودعموها وكانوا مع صفوف جبهة التحرير الوطنين، ودافعوا عن السجناء وشهداء المقصلة ومن بينهم: "جونسون" وزوجته "كوليت" والذي أصدر كتابا بعنوان "الجزائر خارجة عن القانون" وطبع سنة 1956 ، وقد كان صاحبه يتوخى من ذلك التصدي لما كانت سلطة الاستعمار تروج له من أكاذيب بأن من فجّر الثورة ما هم إلا قطّاع الطرق، خارجون عن السيطرة مجموعة من الإرهابيين فقط وهذا ماردّ عليه "**جونسون**": بأن الدولة الفرنسية عجزت عن جعل الجزائر فرنسية وبهذا قد فشل مشروعها، وقد جلبت هذه المواقف "لجونسون" العديد من المضايقات من المخابرات الفرنسية. ومن بين الفرنسيات أيضا نذكر "جاكلين شكروم" المناضلة في الحزب الشيوعي الجزائري والتي تمّ اعتقالها بمدينة وهران في سبتمبر1955, والمناضلة الفرنسية اليسارية "جاكلين قروج" ولها نشاطات معتبرة ومواقف نضالية مع الثورة الجزائرية اعتقلت في1955 وحكم عليها بالإعدام مع زوجها مما ولد عن ذلك حركة تحسسية كبيرة في فرنسا أجبرت المحكمة الفرنسية على إطلاق سراحها. ومن بين الصحفيين الفرنسيين أيضا الذين تعاطفوا مع الثورة الجزائرية "جان ماري بوكلان" والمناضل اليساري "جورج ماتاي" الذي ساهم في تأسيس المقاومة الشابة سنة1956، كما كان هناك ضبّاط ثاروا على النظام الفرنسي من بينهم: "روجي راي" الذي أقصي من الجيش، والضابط "بريسون ايقون" الذي درس في عنابة وانخرط في السلك الأمني كضابط شرطة، وقد كشف بنفسه عن جرم فرنسا الاستعمارية في تعاملها مع المناضلين والثوار وهم أصحاب قضية مشروعة ومن ذلك قوله: « إني فعلت هذه الأمور جميعها باعتباري جزائريا، ولا يغامرني الشعور بأنني قد خنت فرنسا»، والحقيقة التي تعترف بها السلطات اليوم تكمن في العدد الكبير والضّخم للشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف تحت أساليبها الجهنمية، ففي دراسة صدرت سنة2010 حول الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران" ذكر صاحبها أنّ عدد شهداء المقصلة خلال الثورة بلغ 222 شهيدا، و العدد

يفوق الرقم المذكور بكثير، لأن المدرسة التاريخية الفرنسية تسعى دوما لتبييض استعمارها في الجزائر»[1]، وهناك العديد من الأسماء التي رفضت الممارسات التعسفية للاستعمار في الجزائر، وقد ذكر الروائي طائفة دينية اعتنقها أحد الشخصيات وهي السانسيمونية، وهي « مذهب وإن نسب إلى الفيلسوف الفرنسي "سان سيمون" – إلا أنه تأسّس من طرف تلامذته ومحبيه. ولقد كان هذا المذهب الفلسفي والسياسي، الذي حمل لواء الاشتراكية الطوباوية فيما بعد، بمثابة الدين الجديد في الأوساط المثقفة بفرنسا وتحول هذا المذهب على يد "بروسبير أنفانتين" (1796–1864) إلى مشروع سياسي وديني يتولى القيام بنفس الرسالة التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى، لكن بصورة جديدة قوامها مشروعات صناعية كبرى تربط أجزاء الأرض بعضها ببعض هادفة إلى توحيد العالم صناعيا، وصولا إلى توحيده روحيا».[2]ومن هنا نستنتج فكرة الإدماج التي كانت تصبو إليها فرنسا في منح هوية الشعب الجزائري وطمسها، ونجد أن الروائي ذكر اسم "توماس المسيحي" ، الذي التقى "بديبون" و أقنعه بفكرة السيمونية الطوبوية أي المثالية.

– «لم تفصح لي عن هويتك بعد يا سيدي؟

– أتحب أن تعرفني بإسماعيل أم توماس؟

– وهل هناك فرق؟

– نعم كانت هناك فروق ولكنها غير موجودة.

– كنت "توماس المسيحي"، ثم أصبحت إسماعيل المسلم دون المروق عن مسيحيتي.

– ولكن لماذا هذا الجهد كله؟

– أملي في هذه الحياة كلها إيصال الجسر بين هوّيتي الشرق والغرب».[3]

---

[1]– أحمد مريوش، أصدقاء الثورة الجزائرية من الفرنسيين بين الواقع التاريخي والترويج الياسي، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد الثاني عشر(12) ديسمبر2017، ص 18–19–20

[2] – محمد صاحبي، السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر: رونية باصي أنموذجا، دراسات في آثار الوطن العربي18، ص:5

[1]– الرواية، ص323

من هذا الحديث نفهم الكثير من الأشياء، وأولها "توماس وإسماعيل" ركب اسم الشخصية بين اسم مسيحي وآخر عربي، وهذا دليل على أنّ الديانات واحدة والشرق والغرب وجهان لعملة واحدة فهو يروج لأفكار السيمونية ألا وهي التعاون والتوحيد والإدماج، ونجد أنّ هذه الشخصية حقيقية مأخوذة من الواقع: «وعلى العكس من وجود أتباع "سان سيمون" بمصر، الذين كانوا ضيوف "محمد علي إسماعيل" و "ربان" واسمه الحقيقي "توماس وفردينان دي ليبيس" مهندس حفرة قناة السويس، على سبيل المثال إلى غاية مغادرتهم البلد في سنة 1836 فإنهم كانوا في الجزائر المعاونين الأوفياء لجيش الاحتلال والمنظرين لمشاريع فرنسا الاستيطانية، وقد قدموا إلى الجزائر بعد الفشل الذريع الذي منيت به أحلامهم الكبرى في مصر... عين أول وهو أونفونتين عضو في اللجنة العلمية الاستكشافية التي أسستها سلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر والثاني مترجما في الجيش الفرنسي لمعرفته الكبيرة باللغة العربية واعتناقه المزعوم للإسلام».[1] كما جاء في الرواية أن "إسماعيل أو توماس قد أعطى صحيفة لديبون" « قبل قيامه مدني بالجريدة التي كانت بيده، وحين طالعت العنوان تذكّرتها، كانت جريدة {الغلوب}. تصفحتها قد مرّ عليها أكثر من عام... تأبطت الجريدة و رحلت إلى الفندق، قلبت صفحاتها، كل صفحة كانت تزيد من إعجابي بنداءات القديس "سيمون"، حوت المبادئ الأولى للمذهب الجديد، كم فتنني أسلوبه... أنه فعلا تجلَى للمخلص في هذه المدينة... إذا كانت هذه المبادئ فعلا صادرة من روحك، فسأكون سيمونيا مخلصا ... الآن فقط يمكن لأهالي المحروسة انتظار السيمونيين ليشيَدوا معالم مجتمع جديد يعمه السلام والمساواة مع الفرنسيين»[2]، دعوة صريحة من الكاتب لتقبله قانون الإدماج في ذاك الوقت، وهذه الحركة إذا ربطناها بوقتنا الحالي فهي الرؤية العلمانية نفسها. هي، إذن، رسالة مشفرة من شخصية "**ديبون**"، فالإيديولوجية التي روّج لها الكاتب في صدام مع الهوية، لأن هذه الحركة لم تكن بريئة مثلما غلّفها وزيّنها الروائي، فهي قامت بمساعدة الاستعمار الفرنسي في سياسة الاستيطان وتحفيز الأوروبيين للجوء إلى الجزائر وتعميرها عن طريق

[1] – الرواية، ص 6

[2] –الرواية، ص 324

الصحف والدوريات: «... يوما واحدا بعدما وطأت أقدام جنود الاحتلال أرض سيدي فرج في25 جوان1830 حتى لفظت المطبعة التي جلبت معهم أول عدد من صحيفة تحمل اسم: L'ESTAFETTE D'ALGER، كانت مهمتها على ما يبدو إبلاغ من يهمه أمر احتلال الجزائر بآخر "الأخبار والأحداث... وعلى الرغم من انشغال جيوش الاحتلال والمعمرين الأوائل في التقتيل والحرق والإبادة، إلا أنهم وجدوا فسحة من الوقت لإصدار الصحف والمجلات باعتبارها سلاحا مكملا للبنادق والمدافع.. غير أنّ أهم صحيفة كان لها الأثر البالغ في نشر الفكر الاستعماري التوسعي، مغلفة بالمبادئ الساسيمونية، تلك التي ساهم في إصدارها "بروسير أونفونتين" سنة 1844. وهي ذات عنوان يحمل مدلولات عميقة وهي صحيفة " الجزائر" وقد دافع فيه "أونفونتين" ومن ورائه الحركة الساسيمونية عن الحضور الاستعماري بالجزائر، ومن ثمة المعمرين الأوائل»[1]، ومن هنا نستنتج أنّ السيمونيين ليسوا بتلك البراءة التي أراد تقديمها الروائي، فهم لا يقدمون شيئا للجزائريين دون مقابل، هم يحبون بمقدار قليل وينهبون خيرات البلاد بمقدار كبير جدا. و أي عمل قد قاموا بفعله ليس في الحب من شيء، بل من أجل مصلحة فرنسا. والدليل «على ذلك هو وجود أتباع "سان- سيمون"- أو المتعاطفين معهم، من القادة العسكريين مثل: الجنرال "بيدو" ولاموريسار" ورئيس حكومة الاحتلال آنذاك هو "كافنياك" ومن الأعمال "الحضارية" التي قام بها هؤلاء المتنورون أن أضرم الجنرال "لاموريسار" النار في الكهوف التي احتمى فيها مئات الجزائريين هروبا من بطش جحافل الجيش الفرنسي، على بعّد مسافة قصيرة من العاصمة الجزائر»[2]، فإيديولوجية الكاتب التي خفيت تحت مسمى "الأنا الانطوائية" التي مالت وتبنت هذه الحركة، قامت بتشويه التاريخ وحاولت تلميع صورة هذه الطائفة رغم أنّها محاولة فاشلة، فالروائي لم يأخذ الأمر بموضوعية، لأننا نرى هيمنة الإيديولوجية في الرواية، فكان عليه أخذ الحقائق كما هي دون المحاولة لتزييف، وهنا نرى تقويض الأحداث وإعادة بنائها من جديد وفق منظور متحيز.

[1] – محمد صاحبي- السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر، ص: 07

[2] – المرجع نفسه، ص 8-9

2-كافيار Caviar

«إن الرب الذي صرت أؤمن به لا يرضى لي مدّ خدي الآخر، إنه إله مَسَرَّتُه في سفك الدماء من أجل مجده، لذا ليس عليك لومي ونحن نستقي من الكتاب نفسه، فالكل يقرأ الأسفار على طريقته كنت أؤمن بعالم أفضل في ظل قائد واحد تجلت لي فيه صورة المسيح، غير أن الهزائم التي منيت بها جعلتني أفكر في مصيري التي قادني إليه حلمي، ثم وجدت الطريق بعد تيهي»[1]، من هذا المقطع نرى أن "كافيار" ضابط في جيش "نابليون"، والحب الذي يكّنه له في قلبه جعله في موضع المسيح عليه السلام، فقد كان يؤمن به وبأفكاره: «صار مقدّرا علينا انتظار "نابليون" آخر، فهل ستلد أوروبا رجالا مثله؟ لم أؤمن في يوم بهذه الفرضية السخيفة، بعض الرجال لا يعوّضون، مثل أنصاف الآلهة في الملاحم الإغريقية لا يموتون، إلا بقدر ما يغرسون آلاف الأشجار في الذين من حولهم»[2]، فقد شبهه بنصف الإله، لذلك عندما خسر في معركة "واترلو" كان وقع الصدمة شديدا؛ فهو لم يتعوّد أن يرى قائده مهزوما، ومغدورا به، فوضع اللوم على الضباط الذين انسحبوا ومن بينهم "دي بورمون" و جل الجنود الذين هربوا بعد رؤيتهم الهزيمة واقعة لا محالة: «امتلأت به بعد انسحابي من "واترلو" ولست مضطرا إلى تقديم هذه المرافعة...كان هناك في السهل بالآلاف وتراءوا لنا في الجهة الأخرى منه كأنهم ضعفنا! لم نفكّر في التراجع بل كنا سعداء ونحن نستقل التحايا من قائدنا، ظل يطوف بين الصفوف، ويهتف الجنود بحياته، ولو لم يمت مبكرا لا انتظرت انبعاثه من جديد، بعض الرجال مثل: الفنيق، ليس موتهم إلا مرحلة من مراحل حياتهم... أذكر أنني قفزت فرحا عندما سمعت بفراره من منفاه في ألبا، قلت في نفسي، الوداع لهؤلاء الملوك، وفعل لم يمض إلا شهر على فراره حتى استعاد جيش لا يمكن أن يفعل هذا إلا "نابليون" يا "ديبون"، ومن المغزى مقارنته بمن خاننا في "واترلو"، ذلك القائد الذي تتبعت فتحه مدينة الاسبرطة، كان أفضل لو بدأ يومياتك بقصة خيانته لنا حين فرّ قبل

[1] – الرواية، ص 30

[2] – الرواية، ص 190

بلوغه المعركة»[1]. فنجد، هنا، أنّ الروائي قد نقل لنا معركة وقعت بين الجيش الفرنسي بقيادة "نابليون بونابرت" والإنكليز سنة1815، وهُزم فيها "نابليون" هزيمة مفاجئة. « كان على "نابليون"، بعد أن انتصر ذلك الانتصار الباهر، أن يشهد في ساحات "واترلوا" آخر نكبة يضمنها له الحظ العاثر، ففي الثامن عشرين شهر حريزان، بعد معركة دامت ثماني ساعات متوالية خيلّ للجيش الفرنسي أنّ الفوز سيكون إلى جانبه... إلا إن هجومات عالجت بعض كتائب انجليزية تمكن من تشتيتها... إن هفوت من صدرت من المارشال غروشي اشتركت في القضاء على جيوش الإمبراطور "لافاييت" الذي قال: «إن وجود "نابليون" عالة على سياسة فرنسا فهلّل البوربونيون والغرباء لهذه الفكرة. ورحبوا بها أيما ترحيب!»[2]، بعد هذا أزيح "**نابليون**" من الحكم وطلب الحماية من الإنكليز الذين بدورهم نفوه إلى جزيرة وتوفي بها. لم يكن ذكر هذه المعركة اعتباطيا، بل هي بداية لتخطيط في الحملة التي شُنّت على الجزائر، حيث أنّ "**نابليون**" بعث جاسوسا ليتقصى ويتحرى عن **المحروسة،** ولكن سرق الإنجليز الخرائط التي جمعها وأعدم، حيث جاء في سياق الرواية:

«كانت لفظة الجزائر تتردد كثيرا حتى في السنوات الأولى "لنابليون"، وحلم بفتح هذه المدينة وخاب أمله في المشرقين بعد عودته من مصر، ثم أرسل أفضل جنوده كجاسوس، مكث أشهرا يعد التقارير وفي عودته قبض عليه الانجليز، كعادتهم، يحبون السطو على جهود غيرهم دونما تعب، ولكنهم لم يحركوا ساكنا»[3]، أي أنّ حادثة المروحة لم تكن إلا ذريعة أخذتها فرنسا عنوانا لدخول للجزائر واغتصاب أرضها. وقد جاء اسم الجاسوس في سياق آخر: «ألا تعلم أنّ "نابليون" قد أرسل جاسوسه "بوتان" قبل سنوات، استكشف المدينة، وكتب عنها تقارير عديدة، ورسم خرائط، حينها كان "نابليون" يحلم باكتساح هذه المدينة، و "بوتان"؟ في طريق عودته قبض عليه الإنكليز، وسلبوه كلّ ما لديه من أوراق وخرائط. الانجليز مرة

[1] – الرواية، ص 31

[2]–الياس أبو شبكة، تاريخ نابليون بونابرت (1769,1821), ط1, مؤسسة هنداوي للنشر, المملكة المتحدة 2020 ص : 314-315

[3]– الرواية، ص 37

أخرى! إنهم دائما يقفون حجرة عثرة في طريقنا»[1]. ومن هنا نتأكد أن الجزائر كانت من أولوياتها وموجودة في مخططاتها من قبل، ونلاحظ أنّ "**كافيار**" يكره الإنكليز بالرغم من أنّهم هم من حرّروه من العبودية، والظلم الذي تعرض له من قبل الأتراك حيث نجده في كل مرحلة من مراحل حياته يتذكر أسره في الجزائر: «حين تقبض السلاسل على رجليك، ويصبح تاريخك هراء.. كانت القيود تشغل يدي، يسحبها السجين الذي يسبقني فأوشك أن أسقط... أحدق بوجهه في تحدي فيزداد حنقه، ويهم أن يهوى بالسوط عليّ، لولا نداء حارس آخر»[2]، فشخصية "كافيار" والمآسي التي تعرض لها بداية من هزيمة "واترلو" وسجنه من قبل العثمانيين، جعلت منه شخص غير مؤمن، فالمصلحة هي أولى أولوياته. ونجده دائما يقوم بنصح "ديبون" بأن الأفكار التي يحملها في رأسه، من السلام والأمن وحب الخير، غير موجودة في مجتمع مثل هذا حيث يقول: « إن الشيطان اله هذا العالم يا صديقي المبجل "ديبون"»[3]، ويضيف في موضع آخر « الناصري الذي جلبته كشاهد بيننا، ظل يردد على هؤلاء الشرقيين أنهم خرافة الضالة التي أرسل من أجلها، ولم يكن الأمميون إلا وهما دعا إليه "بولص" ثم أصبحنا نحن الأمميون من نجد في إعلام كلمته، تاريخنا الديني كله لحظة التباس كبيرة، ويجب علينا التخلص منه»[4]. الجو القاسي وعمله كجندي عند "**نابليون**" خلق منه شخصا ماديّا لا يؤمن بالميتافيزيقا؛ فلكلّ شيء إجابة، فبالنسبة له الشيء الذي لا يوجد له تبرير هو عالم مثل ولا يمكن الإيمان به، ونرى في العديد من سياقات الرواية أنه يكره الأتراك والمور، ومن هم المور؟ بالنسبة "**لكافيار**" هم العرب وقد كان يمقتهم أكثر من الأتراك في حد ذاتهم بالرغم من أن معذبيه هم العثمانيون الذي أطلق عليهم اسم الإسبرطيين، ولكن يا ترى لماذا هذا الكره؟ للإجابة عن ذلك، يقول إن المور أشخاص لا يوثق بهم، فهم من جنس هجين؛ فالجزائر، كما هو معروف عنها، قد توالى عليها الغزاة – فوصفهم في كلمة

[1]– الرواية، ص 198

[2]– الرواية، ص 109

[3]– الرواية، ص: 13

[4]– الرواية، ص 331–332

بأنهم شعب هجين- فلا تدري في أيّة صفة ستخرج منه، على عكس الأتراك، فهم « طمّاعون و جشعون، يحبّون المال والسلطان أكثر من أي شيء حتى أولادهم، أما هؤلاء المور فمزيج غريب من حضارات متعددة، وعليك الحذر فقد تقفز إليك صفة لا تدري عن أي أمة ورثوها، ربما بهذه الطريقة توصلوا الى مسايرة الأتراك في جيشهم»[1]. وفي منحى آخر من منحنيات الرواية نجده حتى أنه لا يسمح بالتعاطف معهم وتباهيه بأنه يعرفهم أكثر من أي شيء آخر « لذا ليس عليك التعاطف معهم يا "ديبون"، عقلك لا يدرك ما أعرفه عنهم»[2]، لكنني أرى أنّ "كافيار" شخصيته ضعيفة لأنه يصب غضبه في الضعفاء، لماذا لم يقم بالانتقام من العثمان في عقر دارهم؟ فهم تسببوا في استرقاقه بعد أن كان ضابطا يقود كتيبة، فقد حبسوه، شتموه، مارسوا عليه أشد أنواع التعذيب، قاموا بضربه بسياط، قطعوا إصبعه، وضعوه في غرفة مليئة بالجرذان والعتمة والكل مكدس على بعضه، جعلوه يعمل في مقالع الحجارة، وعمل على تعبئة الملح حتى أنه قد قام شخص بصب الملح على جرحه، هو يكره الأتراك بالفم فقط، إذن هو شخص بائس، يفرغ غضبه في أشخاص لن يجرؤوا حتى على مواجهته ونجد هذا الكلام في السياقات التالية: « لو جربت العبودية في الجزائر، وحرّرك منها أعداؤك لما سألتني، ثم تحملت العبودية، ولكن أنسيت يا "كافيار" أصبعك التي خلقتها في محجر الرخام؟ حالة إلى عصارة دم ممزوجة بالرّماد الأبيض. ...»[3] وأيضا: «ليس هناك ما يجعلني أتفق مع هؤلاء الأتراك المحمّدين، ولهم إلههم الذي يدعوهم لاضطهادنا، أليس غريبا أن أول ما حفظته من لغتهم هي سبابهم إياي بالمسيحي الكافر»[4]، وهذه الحادثة وقعت حين كان يدور في المدينة نحو السجن والأطفال يضربونه وينادونه

---

[1] – الرواية، ص 33.

[2]– الرواية، ص 113

***المور**: ساد مصطلح المور في القرن الرابع ميلادي، وما بعده للدلالة على جميع الأهالي المستقلين عن السلطة المباشرة للمدن أو المقاطعات أي الذين كانوا خارج السيطرة أو السيادة الرومانية والبيزنطة.

لخضر سليم قبوب دراسة أضرحة المورية في شمال افريقيا.

[3] – الرواية، ص: 189

[4]– الرواية، ص 111

بالكريستيني، الكريستيني القذر، إذ أنّ قوة الأتراك في ذلك الوقت أو الدولة العثمانية تركت له أثرا في اللاشعور وهو الخوف، حتى أنه لم يجرؤ أن يقول سأبيد آل عثمان عن بكرة أبيهم مثلا، لا، كره الأتراك جعله متقاسما ومتربطا دائما بالعرب. «كم أصبو لوضع السلاسل في أرجل كل المور هنا، فأرغمهم على حمل الصخرة في محاجر الرخام، حتى تمتلئ أنوفهم ببياضه، وتحرق الشمس وجوههم... لن أعطهم سوى رغيف واحد من الخبز الأسود، ومبيتهم في غرف مظلمة مليئة بالبول والجرذان ليشعروا بألم الأسر والعبودية»[1]. يقول "فرويد": «إن أي صراع بين الذات الدنيا والذات يؤدي إلى صراع أكثر تعقيدا وهنا يبرز دور الذات العليا في ضم قواها إلى أي من الجانبين، ومما لاشك فيه أن تأييد الذات العليا للجانب الشهواني يؤدي إلى ارتكاب الجريمة»[2]، وهذا ما تفسر عن جرائم الضباط في فرنسا وعدم توازنهم النفسي وميلهم لحب الإجرام وهذا عائد إلى نقص فيهم، أي عقدة النقص. «وهي صورة رمزية للتعبير عن المشاعر والميول المكبوتة، وهذا بسبب الصراع الناجم عن إحساس الإنسان بالنقص لأي سبب، هذه الحادثة تدفعه لتغطية النقص من خلال التورط في مشاكل ومتاعب مالية أو مهنية أو عائلية... وزوال ما عاناه من توتر»[3]. وهذه المشاكل النفسية التي تعرض لها بداية من "**واترلو**"، ثم ساءت حين هجم عليه القراصنة؛ «كان ذلك آخر أسبوع لي في سات»، «في صراخي كنت أراهم يتقافزون من على سطح سفينتهم، الجنود، كانوا يحملون سيوفا معتركة... رأيت أحد الأتراك يوجه ضربة إلى وجهه أسقطه بها مباشرة ثم أوثقوني»[4]، هنا بدأت رحلة المعاناة في السجن إلى أن تمّ تخليصه من طرف أعدائه الإنكليز «ما الذي اعتقده أولئك الانجليز حين تواطأوا عليّ في أوروبا و أورثوني هزام "واترلوا"؟ ثم أتفاجأ بهم هنا يريدون تحريري من عبودية الأتراك»[5]،! فعندما حرّر "**كافيار**" ظل

---

[1]– الرواية، ص 35

[2] – http://www.wababylon.endu.iq

[3]– الحسين عمروش، تغيير السلوك الإجرامي في نطاق علم النفس الجنائي– دفاتر بحوث العلمية، المجلد 9، العدد، 2، ص 9

[4]–الرّواية، ص 40.

[5]– الرواية، ص 119

في الجزائر لكي يقوم بدراستها والبحث في خباياها لتحضير للحملة وإكمال حلم "نابليون"، وقد بقي أيام عند القنصل السويدي ثم التقى بالقنصل "**دوفال**" على الرغم من كرهه له، وجاء تخطيط لحملة الجزائر كالآتي: «الذين يختبئون في قصورهم في باريس لم يرسلوني إلى هذا المكان الخطير عبثا، بل لان هناك من قال لا يمكن انجازها إلا هذا الرجل الذي يجلس أمامك الآن... ألا تعلم أنّ "نابليون" قد أرسل جاسوسه "بوتان" قبل سنوات استكشف المدينة، وكتب عليها تقارير عديدة... بحيث يمكن للضباط الذين يأتون فيما بعد تتبّع المسارات يسهل عليهم النزول بسيدي فرج، مثلما اقترح " بوتان"... الآن يا "كافيار" بدأت رحلتك في ودّ الصفحات وضربات السياط. ستعيد رسم الخرائط، بل إنك تشارك في تغييرها، عليك الآن أن تصغي لكل الأصوات والهمسات... على غزو هذه المدينة»[1]، أي أن كل شيء مدروس وله خطوات؛ حتى حادثة القصر كان مخططا لها، حيث جاء في سياقها التاريخي: «وفي عيد الفطر، ذهب "**ديفال**" لتهنئة الداي كما جرت التقاليد بذلك... سأله الداي إنّ كان لم يتلقّ جوابا على الرسالة التي كان قد وجّهها إلى الحكومة الفرنسية حول قضية "بوشناق وباكري" اليهوديين، كما كان من القنصل إلا أن أجابه بقصد الاستفزاز، إنّ ملك فرنسا لا يتنازل لمراسلة الداي الجزائري... فصرخ فيه، أخرج يا رومي، وتحرك الداي حركة غضب وسخط، لمست من جزائها ريشة في طرف المروحة القنصل... فانسحب مهددا أنه سيبلغ كل شيء لحكومته»[2]. وقد جاء في سرد أحداث الرواية أنّ الباشا ضرب القنصل ولم يشر إليه فقط، « لم ينتبه الباشا الى نفسه، إلا وهو يقف، ومن ثم يضرب القنصل بالمروحة التي كانت بيده، فهم القنصل بسلّ سيفه لكن الحراس قبضوا عليه ولم يمض إلا شهر واحد حتى رأينا أربع سفن فرنسية رست في ميناء المحروسة والتحق بها القنصل في اليوم الموالي»[3]، الآن وبعد أن وجدت فرنسا ذريعتها، لم تنتظر كثيرا حتى رست سفنها الحربّية في ميناء الجزائر، ولكن الأمر الذي لفت انتباهي، وقد أشار إليه "**كافيار**" عدة مرات بالانتقاص من المور، مثل

[1]– الرواية، ص 198.

[2] – مبارك بن محمد الهلالي الميلي، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج3"، ص: 272– 273

[3] – الرواية، ص: 131

قوله: «عندما خالط أولئك المور وأفسدوه»[1]، وانتقص من شئنهم في موضع آخر "وهم لا يحسنون سوى الأكل والشراب، ومضاجعة نسائهم من أجل مزيد من الأطفال»[2]، و أشار إليهم أنهم غير منظمين ولا ينضبطون بالوقت « متى اهتم المور بالوقت، تفتقد جدرانكم إلى ساعات»[3]، ولكن من جهة أخرى كان يحترم القبائل والصحراويين؟ أليسوا جزائريين؟ أم هم لم يتزوجوا من العرب؟ ماذا يقصد الكاتب هنا بالضبط؟ وفي قوله: «هؤلاء الذين رأيتهم لا يعتبرون أنفسهم جواسيس إنهم يشترون حياتهم وأموالهم وحيواناتهم، هم أكثر ذكاء من الأتراك والمور»[4]، نجد إيديولوجية الكاتب مهيمنة جدا. الكاتب يميل إلى الأعراب والقبائل أكثر، فقد دسَ السُم في العسل لتفرقة أبناء الشعب الواحد، وما حدث في صيف2021 كان سببه هؤلاء الذين يفتخرون بمنطقة على حساب أخرى وراح ضحيتها شاب في ريعان شبابه "**جمال**" الذي حُرق ونُكِّل بجثته بوحشية، لذا لا داعي للجهوية، فكلنا شعب واحد. عندما نجحت الحملة وسلّم الداي "**حسين**" مفتاح الجزائر "**لبورمون**" يقول "**كافيار**"«... يدخلها "كافيار" المقّيد بالأغلال، ليعود إليها من أجل وضع الأغلال في أرجل الأتراك والمور»[5]، وهنا تحقق حلم الضابط "**كافيار**" مهندس الحملة ونائب قائدها. هناك العديد من الحاقدين أمثال " **كافيار**" على الآخر العثماني والعربي أمثال البحارة الذين وصفوا بدقة خوفه من البطش العثماني "قراصنة البحر الأبيض المتوسط". «الشرق أكثر خطرا مما تظن، أشعر أنهم يحومون حولنا وفي أي لحظة يقفزون نحونا.

- تقصد القراصنة الأتراك.
- ومن غيرهم.
- وإن كنت صيادا فإنهم لن يتركوك، حتى سفينة البابا لن تسلم منهم».[6]

---

[1] – الرواية، ص 332

[2] – الرواية، ص 334/333

[3] – الرواية، ص 139

[4] – الرواية، ص 251

[5] – الرواية، ص 274

[6] – الرواية، ص 39

فالجميع في سبات كان يتكلم على آل العثمان وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على المكانة والهيبة، التي تمتعوا بها « كانوا في سات يتكلمون عن الأتراك بخوف مثلما يتكلمون عن الريح، "الماشرال"، يقتلعون البحارة من مراكبهم مثلما تجتث تلك الريح الأشجار بيسر، يمرون فجأة ثم يختفون بالطريقة نفسها، وتظل الأمكنة التي عبروها محطورة على الصيادين»[1]، ويمكننا القول، باختصار، إنّ المآسي التي يمر بها "**كافيار**" جعلته حاقدا على الشرق وخاصة العرب لأنهم كانوا في تلك الفترة مهزومين من قبل الأتراك، وراضخين للاستعمار التركي، مستسلمين لأمرهم، فوجدهم لقمة صائغة. ففي رأيه أنّ الغزو هو الحل الوحيد للقضاء على الوجود التركي، وتبقى الساحة لهم وذلك في قوله: «إذا لم تحتل المدينة لن يتوقفوا عن القرصنة»، والشيء الوحيد الذي يشفى غليل نفسه هو حرق المدينة «ليت أولئك المور يدركون كم يجلب هذا الخراب بهجة إلى نفسي، حتى دخان حرائق سفنهم، كان كأنه نسمة صباحية تجوب الحديقة التي انبسطت أمامي، بأشجارها العارية بسبب الجراد، ... كم كان خطأ الإنكليز فادحا، عندما تركوا المدينة ورحلوا دون تدميرها وقتل بقية اليولداش، وربما المور كذلك، وجوههم البائسة تستحق أن تسجل مثلما قسرت السياط ظهورنا»[2]، فالصورة التي رسمها الآخر ضد الفرد الجزائري أو الإفريقي هي نظرة دونية ولا يستطيع هذا الفرد القيام بأي عمل دون مساعدة الغرب «اعتقدت دائما أنّ الشعوب الإفريقية والعربية لا يمكنها تحقيق مصالحها إلا بالفرد الأوروبي، لا يستطيعون تنظيم حياتهم، يجب دائما أن يكون هناك سيد ينوب عنهم، يسّير لهم حياتهم، وهم ليس عليهم فعل شيء سوى الجدّ في العمل، ولكنهم بالرغم من كل هذا تجدهم أميل إلى الكسل، قانعين بحياة لا تختلف كثيرا عن حياة حيواناتهم»[3]، ولا يخفي "كافيار" خوفه من نظرة المرأة الجزائرية له، التحدي الموجود داخل عينيها كفيل بأن الارتباك يجعل يدب في قلبه: «نظرة نساء المور القاسية، تولّد الخوف في داخلك، تحتد نهايات العيون، وتتشعّب العروق الحمراء في بياضها، كأنها

[1]–الرواية، ص 37

[2] – الرواية، ص 190

[3] – الرّواية، ص 263

تتوعدك بالموت»[1]، ورآها بنظرة أخرى وهي مهزومة مستسلمة للرجل الموري « المرأة دوما ضعيفة، خاصة في أحياء المور لا يسمحون لها بمغادرة بيتها، إلا حينما تلف نفسها في كومة قماش».[2] ولم يكن "كافيار" الضابط الوحيد في الرواية، لأن الروائي استحضر مجموعة من الضبّاط الذين شاركوا في الحملة، يقول: « ومرّت السنة ثم السنة، ورحل "بورمون" منفيا، وتلاه "كلوزيل" معزولا، ثم "بيرتزن" وها أنت تتسلل إلى رصيف الميناء لترى وجه "الدوق روفيغو" وآخر الملامح التي يحملها عند رحيله وهو الآخر معزولا من الجزائر»[3]، وهذه الشخصيات كلّها واقعية إذ ذكرت بسماتها في كتب التاريخ حيث نجدها في مثل هذا النّص: « وزاد الأمر سوءا أنّ القائد العام "**بورمون**" قد ترك الحبل على الغارب، ولم يعد يحكم فعلا»[4]. وفي موضع آخر نجد شخصية الجنرال "**كلوزيل**":« إزاء تصرفات "**كلوزيل**" الفردية، قررت الحكومة الفرنسية إعادته إلى فرنسا وتعيين خلف له وهو الجنرال "**بيرتوزان** [5]"». يذكرهم "أبو القاسم سعد الله" على التّرتيب، حسب قائمة التعاقب« ومن الذين تولوا خلال السنوات الأربع الأولى بعد "بورمون، كلوزيل برتزين، الدوق دي روفيغو وفوارول"، كلهم كانوا مهتمين بمشاريع الاستعمار»[6]، وهذا دليل على قدرة ومرجعية السارد أو الروائي التاريخية حيث أنّه شمل الأحداث السابقة التي حدثت، ولقد بيّن لنا الكاتب من خلال الوصف الذي قام به في الرواية والذي أحاط سكان المحروسة والفقر الذي كانت فيه،

[1] – الرواية، ص 266

[2] – الرواية، ص 191

[3] – الرواية، ص 49

[4]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث, بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص : 57

[5] – علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الأمير عبد القادر، ص 326

[6] – أبو القاسم سعد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص: 63

والرغبة التي كانت لدى الجنرالات من جشع وطمع في خيرات البلاد جعلهم يلجئون إلى عدة أساليب منها القمعية، التقتيل، مصادرة الأراضي من أجل المستوطنين...الخ.

وهذا ليس محل صدفة، بل كان مخططا له منذ معركة "**واترلو**" التي هزم فيها "**نابليون بونابرت**" فأراد الفرنسيون التعويض عن الخسائر التي حصدوها، بالإضافة إلى ردّ اعتبارهم؛ لذلك قاموا بإرسال جاسوس ليستطلع الأمر، وهذا كله حصل قبل حادثة المروحة، بمعنى أنّ فرنسا ليست آتية لتخليص الجزائريين من القراصنة الأتراك، بل للاحتلال واستنزاف خيرات البلاد، وهذا ما جاء في قولهم: « لطالما كان الجنوب مثيرا للمشاكل، لكن البحارة غير الساسة، البحر يجعلك تؤمن أنّ هناك يقينا ما، وإن كان غامضا، لكن ينتابك حين تشتاق إلى اليابسة، أما السياسة فهي شيء آخر حيث اللا يقين هو اليقين الوحيد الذي عليك اعتناقه... فباريس كانت دائما متقلبة، لا يلتفت حكامها تجاه الجنوب إلا حينما يتعلق الأمر بما تحمله السفن من نهب أمس، وقمح اليوم»[1]، ولكن الشيء الذي يدعو إلى الريبة هو لماذا تعمّد الكاتب عدم ذكر اسم "الأمير عبد القادر" في روايته؟ حيث جاء السياق كالآتي: «نعم كنت أبحث عن عيون الأمير»[2]، وهذا فيه نوع من الانتقاص، لأن فرنسا قد أوقعت جرائم فادحة في حق مقاومة "**الأمير عبد القادر**"، وهذا نوع من الاستفزاز من طرف الروائي، لأنه كيف لا يمكن ذكر اسم من قامات المقاومة المسلحة قديما وقد كان الركيزة الأساس في ردع الفرنسيين وزرع عدم الاطمئنان فيهم، « لقد كان الهدف الأول للجنرال "بيجو" الحصول على إخضاع القبائل، وإفشال خطط الأمير، كغيره من الجنرالات الآخرين، حيث قاموا بتحطيم **تاقدمت** بقيادة الجنرال "بيجو" وهذا الحصن يعتبر الممون الرئيسي لقوات "الأمير"، كما قاموا بتحطيم حصن "**تمزة**"، يوم25 ماي1841، و"**بوغار**" ;" في يوم14 ماي1841، بقيادة الجنرال: " Berguay d hillien"، أما عن العاصمة المتنقلة "**الزمالة**" التي كانت تحتوي على 4 ورشات لتحضير الأسلحة والمؤن الحربية وقضي عليها

[1] – الرواية، ص 37

[2] –الرواية، ص 292

16ماي1843»[1]، فالجنود كانوا يحتقرون الأهالي، فتواترت المذابح والنهب وانتهاك الأعراض، حيث ارتكبت فرنسا أول مجزرة في تاريخها بالجزائر، وقد تم قتلهم على بكرة أبيهم، حينما هجم عليهم الضَابط "**دورفيغو**" وقواتهم العسكرية حيث أنهم قطعوا آذان النساء بأقراطها وباعوها للسفير الدنماركي: «يعود سبب هذه الإبادة إلى أن شيخ العرب "**فرحات بن السعيد**" الذي كان العداء بينه وبين "**أحمد باي**" قد أرسل وفدا إلى "**دوريفيغو**"، لطلب دعم الفرنسيين ضد عدوهم فاستقبلهم استقبالا حارا، وفي5 أفريل1852، حمَل "**دوريفيغو**" هذا الوفد ببعض الهدايا إلى الشيخ "**فرحات إلى السعيد**"، غير أنّ بعض اللصوص جردوا هذا الوفد أثناء عودته مما كان يحمل عند مخارج واد الحراش، بحيث تعرضوا للهجوم والنهب في أراضي القبيلة العوفية، فعاد الوفد إلى الجزائر واشتكى على ما حصل له فبعث "دوريفيغو" رجاله في الحال ليبيدُوا القبيلة الصغيرة دون أن يتأكد من صحة تواطؤ الأهل على السرقة، وفي ليلة 6 الى7 أفريل خرج ثلاثمائة من قناصة إفريقيا وثلاثمائة رجل من اللفيف الأجنبي وأحاطوا بالقبيلة تحت قيادته وهم نيام في خيامهم ونظم فيها مجزرة، فلم يبق فيهم لا رجال ولا نساء ولا أطفال، وذبحت العوفية المساكين على بكرة أبيهم دون أن يحاول أحدهم أن يدافع عن نفسه»[2]، وهذه الوحشية بأكملها ولا يزالون يطبقون علينا اسم البربر، والغريب في الأمر أنّ فرنسا لم تتوقف عند هذه المجزرة الوحشية، بل زرعت شبكة من الجواسيس في أوساط القبائل لتحريض بعضهم على بعض، مثلما يحدث لنا الآن مع إعلام العار وذباب الانترنت أو الذباب الإلكتروني، «حسب مراسلات "الدوق **دوريفيغو**" نجح هذا الأخير في زرع شبكة من الجواسيس في أوساط القبائل، وفي إطار سياسة فرق تسد عمل الفرنسيون على إثارة العرب ضد الأتراك والكراغلة في العاصمة وعنابة والعكس في الغرب الجزائري»[3]،

[1] – حرشوش كريمة، جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر من خلال أدبياتهم 1832–1847 نماذج، جامعة وهران، الجزائر، ص 19

[2]– يحي فولان – مبروك باحمان، سياسة الابادة الجماعية للقادة العسكريين الفرنسيين في الجزائر1830–1871 مجزرة العوفية ج. أدرار، ص 40–41

[3]–فضيلة حفاف، السياسة الفرنسية الأهلية في الجزائر في بدايات الاحتلال (1830– 1833) ، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية 2015/3/3 ص : 11

واعتمد الجنرال "**BOYER** " على سياسة التفرقة بين سكانه لمنع اجتماع كلمتهم وتوحيد مساعيهم في مواجهة الاحتلال، وساعده على تنفيذها آنذاك طبيعة المجتمع الجزائري الموزع على قبائل حريصة على نفوذها... تتنافس حول الزعامة، فعرف الجنرال **BOYER** الوضع وعرف كيف يستفيد من أخطاء العرب»[1]، وقد نتج عن هذا الظلم والخبث تجاه الأهالي ظهور ثورات صغيرة يطلق عليها اسم "المقاومة" مثل: مقاومة أو ثورة **فليتة** بقيادة **سي لزرق بلحاج** عام 1864 «لقد كانت قبيلة **فليتة** من أول القبائل التي ثارت ضد جيش الاحتلال... حيث تمكنت فرنسا من وأد هذه التجربة بعد أن كلفتها الكثير من المال والجهد، وخسرت العديد من قادتها وجنودها، مستعملة في ذلك كافة الوسائل لإجبار السكان بالقوة على الخضوع والاستسلام»[2]، ومقاومة "**بوعمامة، الزعاطشة**"، **الطوارق**،...الخ، ولكن عدم توحد هذه المقاومات وانطلاقها في آن واحد، جعلت الجيش الفرنسي يستطيع إخمادها. لذلك ففرنسا لم تلتزم بالمعاهدة التي نصّت على حقوق الجزائريين وحماية ممتلكاتهم الخاصة والعامة ودينهم وحرمة أهلهم، فالصفة التي دخلت بها في بادئ الأمر هي أنها احتلال مؤقت ولا يقبل منها أي تجاوزات سواء على أهل الأرض أو في ممتلكاتهم « بما أنّ الاحتلال يعتبر حالة مؤقتة، فلا يجوز لدولة الاحتلال التصرف بالأراضي التي تمارس عليها سلطتها، كما لا يجوز لها، وهو الأهم، أن تمس بالضمانات والحقوق التي يستفيد منها الأفراد والمدنيون وعليه، واستنادا لنص المادة 43 من لائحة **لاهاي** عام1907، يتوجب على سلطات الدولة المختلفة أن تبقي التنظيم الإداري والقضائي للإقليم المحتل قائما»[3]. السؤال الذي يمكن طرحه هو: أين هم أصحاب فكرة التنوير والسعي وراء حقوق الإنسان؟ أين هي الرقابة؟ لماذا لم تتحرك عندما قامت فرنسا بالانتهاكات في حق الشعب الجزائري؟ حيث أنّ

[1]– المرجع السابق، ص11

[2] – العربي بوعناني، ثورة فليتة بقيادة سي لزرق باجاج عام1864 ضد الاستعمار الفرنسي دراسة من خلال الأرشيف والكتابات الفرنسية–محلية العبر للدراسات التاريخية والانترنت في شمال إفريقيا المجلد4– العدد:2–سبتمبر 2021 ص5–7

[3] – سمير شوقي، جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر على ضوء الأعراف الإنسانية–مجلة العلوم الإنسانية العدد الرابع، ديسمبر 2015 ص: 7

الجزائر، عشية الاحتلال، أضحت مختبر تدشين لعلماء فرنسا والعسكريين وهذا ما نجده في كتاب "استعمر، أباد" Coloniser, exterminer لمؤلفه Olivier le cour Grandmaison في ثنايا الكتاب أنّ الجزائر أمست عشية الاحتلال أضخم مختبر دشنته السلطات الاستعمارية لعلمائها وأشباه العلماء،... لتجريب كل ما يمكن أن تبدعه قرائحهم، فالجزائر أو بالأحرى العربي l'arabe الأنديجان في نظرهم عدو من نوع خاص، عدو غير تقليدي لأنه شرس بطبعه لا يقبل بالأمر الواقع ولا يفوت الفرصة في الانتقام»[1]، وقد تشجيع الكتاب حملة الجزائر، أمثال "**فيكتور هيغو، كارل ماركس، دي توكفيل**" تحت شعار الحضارة ضد البربر وهذا ما جاء في "فيكتور هيغو": « إنها الحضارة ضد البربرية، إنه شعب الفرنسيين، متنوّر وجد شعب الجزائريين في الظلام: نحن يونانيو العالم، وعلى عاتقنا تقع مسؤولية تنوير العالم»[2]، وجاء في قول "**غي دي موباسان**" في إحدى الصحف الباريسية هي " Au soleil Rasé" «ومن المؤكد أنّ الشعب البدائي (ويقصد الجزائريين) سيتخفى رويدا رويدا ومن الثابت أيضا أن هذا الاختفاء سوف يكون مفيدا جدا للجزائر(ويقصد الجزائر الفرنسية) ولكنه من المؤسف أنّ ذلك يتم في ظروف غير إنسانية»[3]، وأضاف: "كارل ماركس وإنكلز، اللذان كانا نبيّي الماركسيين العرب طيلة قرن من الزمن، وقد هللا في كتابهما" حول الهند والجزائر للتجربة الجديدة شمال إفريقيا على حد تعبيرهما"»[4]، وكل هذا دلّ على كذب وتدليس واتخاذ الشعارات الإنسانية كعنوان فقط، ضف إلى ذلك أنّ فرنسا، إلى اليوم، لازالت الجزائر لم تتخلص من التبعية لها فقد أكدت دراسات حديثة أنّ هناك تجاوزات في الاتفاقية التي تمّ الإمضاء عليها لأنه تم التلاعب بالكلمات الموجودة في الاتفاقية « مفاوضات "مولان" 25-29جوان1960، مفاوضات "لوسارن" 20فيفري 1961، مفاوضات نوشاتيل 05 مارس

[1] – محمد صاحبي، السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر–روني باصي أنموذجا، مجلة الدراسات آثارالوطن العربي، العدد 18، ص:3

[2]–المرجع نفسه، ص4.

[3]–المرجع نفسه ص 4

[4]–المرجع نفسه، ص 4

1961 مفاوضات ايفيان20 ماي و 13 جوان 1961 ومفاوضات لوغران 20-28 جويلية1961 مفاوضات فول بال الأولى والثانية »[1]، وبطبيعة الحال فرنسا المستعمرة من1830-1962 لن تتخلى عن مصالحها في الجزائر بسهولة، فهي كانت تعتبر الجزائر مقاطعة فرنسية، بيد أنها كانت تريد طمس الهوية الجزائرية الإسلامية من خلال دعم حملات التبشير وبناء الكنائس، ودعم شيوخ الصوفية الذين كانوا لا يعارضون سياستها خصة التيجانية، وبعض الفرق التي اعتبرت الاستعمار الفرنسي مقدرا (مكتوبا) على الشعب الجزائري، إلا أن جمعية العلماء المسلمين، بقيادة عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، كانت لهذه الحملات التبشيرية بالمرصاد، وحاربت التصوف ونشرت العقيدة الصحيحة والراسخة لدى الشعب الجزائري، الذي رفض الاستعمار أو الاندماج.

3-ابن ميّار:

رجل من الأعيان، يشتغل كمستشار لدى الداي "**حسين**"، كان يحب الوجود العثماني في الجزائر، كان يسكن **المحروسة**، وهو شخصية حكيمة ورجل سياسي نزيه، نجد الروائي قد ابتدأ في جزء "ابن ميّار" بحلم هذا الأخير في رجوع الباشا حيث يقول: « رغم رحيله مازلت أنتظر خادمه يدق بابي ويومئ لي أن ألتحق به، أتسلق الدروب المؤدية إليه، ألج القصبة وأعبر أزقتها الضيقة، ثم أنعطف غربا فيقابلني القصر والشواش على جانبي الباب، يسبقني الخادم إلى باحته ثم ألتحق به، أتأمل النافورة ومياهها التي نضبت اليوم، وحتى شجرة الليمون لم تثمر بعد رحيله، من مكاني يقابلني باب الديوان، يفتح وأسمع صوت الخادم يناديني باسمي: سيدي "ابن ميّار الباشا" ينتظرك»[2]، وهنا نجد الاستباق: استبق لنا السارد قصة خروج "آل عثمان" من الجزائر وتذكير "**ابن ميّار**" بالشوق حتى أنه لا يستطيع أن

[1] – مبرو غريس والياس نايت قاسي، المفاوضات الفرنسية ال جزائرية1956-1962 من خلال الكتابات الجزائرية والفرنسية والوثائق الأرشيفية السويسرية-المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد5، العدد2، ص9-16.

[2]- الرواية، ص 48

يغيب عنه هذا المشهد حيث يقول: « لم يكن المشهد ليغيب عن ذهني، أصواتهم تتعالى وقهقهتهم وهم يدخّنون غلاييهم ويحتسون القهوة، معيدين سير المعارك القديمة، يومها كانت المحروسة عرسا لنا ولهم وبعد رحيلهم أضحت مدينة تختلط فيها الدّماء بالغبار»[1]، يبدو من هذا الحديث عن العثمانيين أنّهم كانوا يشعرون بالراحة والسعادة في مدينة المحروسة، يهمّهم شأنها كما يهم أهلها الأصليين ففي قول "ابن مىار"« آمنت دائما بأن السلطان المعظم لن ينسى المحروسة»، [2] فأمله باق ولم يذهب ولم يتزعزع في الدولة العثمانية وخاصة الصدر الأعظم وهذه إشارة بأن "ابن مىار" في علاقة جيدة بالحكام في قول آخر: « لن تكون المحروسة إلا لنا نحن أهلها»[3]، فهو رافض للآخر الفرنسي ولوجوده بأن يقاسم المحروسة معه، ثم يبدأ بتذكر حكاياته عن الأتراك عندما أخذه والده إلى السلطان المعظم بإسطنبول « هؤلاء الانجليز هم أصدقاء الباشا، لذا يصرون على حمل هدايانا بسفينتهم إلى السلطان المعظّم بإسطنبول، ثم يستطرد في حكاياته عن بني "عثمان"، وعن ملوك ملأوا الأرض عدلا، والطفل الذي كنته تتعبأ ذاكرته بهم ثم أضحى الوجدان كله يميل إلى تلك المدينة شرق المتوسط، ولم أكن لأستوعب مقدار الكراهية التي حملها سلاوي لبني "عثمان"»[4]، وقد تحدث عن هيبة السلطان الأعظّم في ذاك الوقت، بحيث أنّ الكل يريدون رضاءه، فيجلبون له الهدايا كي يقوم بحمايتهم وذلك في قوله: « كانت الصورة تترادف فتعيد وجه أبي، عند باب ديوان السلطان المعظّم في إسطنبول، أصغيت إلى حواره بالعثمانية مع "شاوش الباب"، فهمت بعض كلماته... ولم يتسن لي رؤية السلطان... ولم يقدّر لهما مثلي لقاء جلالة السلطان... والمجلس مكتظ بوجوه ليست من المحروسة، يقتربون من الباشا، يقبلون يده تباعا، ثم يرطنون بكلمات لا أفهمها، ويقدمون هداياهم إليه ثم يرحلون»[5]، لكن كل شيء

[1] – الرواية، ص 48

[2] – الرواية ص 128

[3] – الرواية، ص 128

[4] – الرواية، ص 128

[5] – الرواية، ص 134

تغير بعد تحطم أسطول العثمانيين في معركة "نافرين" وتراجعت قوتهم، حيث أنّ الخوف قلّ، وأصبحت الدول المسيحية تبحث عن ذرائع للانتقام ومن بينها عندما تحطم جزء من سفينة تحمل الرسول للمفاوضة على الديون التي كانت على عاتق فرنسا آنذاك: «قطعت السفينة مسافة في البحر، ولم تسر في اتجاه مستقيم إذا انحرفت وأبحرت بالموازاة مع أسوار المدينة، لم أتخيل أنّ الدوي من مدافع المحروسة، ارتعبت إذ قدّرت أنّ عواقب ضرب السفينة ستكون وخيمة... تكهن الحاضرون ذلك اليوم بما سيحدث للمحروسة»[1]، وبعد رفض الباشا الاعتذار من القنصل "ديفال"، وبقت فرنسا تبعث له الرسل لعلّه يغير رأيه إلا أنه رفض « الجزائر كانت حلم الجميع، ولكن الباشا فرّط بها بسهولة، بعض الحماقات الصغيرة تجعلنا نفرّط بأجمل الأشياء التي نملكها، كان يمكنك الاعتذار، ولكنه صدّق الوهم الذي أضلّ الكثيرين في إسطنبول أننا مازلنا أقوياء مثل: الأيام الماضية»[2]، كذلك من أهم الأسباب التي زادت قوة أوروبا على حساب الدولة العثمانية هي الثورة الصناعية حيث يقول: « حينما أتيقن أنّ مصير العالم القديم قد بدأ في الزوال، يسير الشرق إلى الأفول، حين أدركت أوروبا أنّ مجدها الآن متعلق بقوتها الصناعية. كان القنصل محقا على الدوام، الآن لم تعد إسطنبول مثل سابق عهدها، بعد أن ضاع المجد الذي خلّفه السلطان "سليمان"، والآن تتفكك الدولة لشساعتها، وتنوع أعراق الناس، وميولاتهم ونزوعاتهمم»[3]، وقد ألقى "ابن ميآر" اللوم على الباشا عند قتله آغا الجيش "يحي" وكيف دبروا له المكائد لكي يقتله الباشا، فقد شاع بأن الدولة العثمانية قد فسد حكمها بعد أن ابتدأوا في النزاع حول الحكم والسلطة والاقتتال فيما بينهم « صمت الباشا يومها، كان أكثر حزنا وندما على قتله الأغا، ولم يسعفني الزمان ولا المكان، كنت أعدت له سيرة المقتول، وكيف غرر به حتى سيق إلى نفييه بمدينة البليدة، ثم خنق ليلا بها»[4]، وقد لمّح أو صرّح ولكن في قرارة نفسه أنّ الباشا قد أخطأ في اختياره للآغا

[1] – الرواية، ص 136

[2] – الرواية، ص 282

[3]– الرواية، ص 282

[4]– الرواية، ص 129

"إبراهيم" الذي كان سببا في دمار الجيش وسرقة الدولة « بينما "إبراهيم" آغا لم يضف حجرة أو سورا إلى التي شيّدها "يحي آغا". صحيح أن "يحيي" كذب على الباشا، ولكنه كان دائما قائدا محنّكا في عيون أهالي المحروسة... يظل أهل المحروسة يردّدون في يأس: لو كان الآغا "يحيي" هنا لما حدث ما حدث»[1]، وأشار "ابن ميّار" إلى مكر اليهوديَيْن – وهذا أيضا يعد سببا من الأسباب التي جعلت فرنسا تريد دخول إلى الجزائر– وكيف قاما بتوريط الباشا مع الفرنسيين حيث يقول: «ومنذ أضحى "حسين باشا" على الجزائر انشغل بقضية ديون الفرنسيين. في البدء كانت لليهوديين والفرنسيين، ولأن جزءا من الديون كانت لخزينة المدينة لجأ اليهوديان إليه يستخلصها لهما، ثم فوجئ بأنه ليس وحده الذي يطالبهما, بل إن تجّارا كثيرين من مرسيليا وباريس كانوا يطالبونهم كذلك بديونهم... كان الباشا يظن أنه بدفاعه عنهما يدافع عن حق المحروسة، أما حين استفاق فقد كان اليهوديان قد فرّا إلى باريس، وأضحيا مواطنين فرنسيين ولم يبق للباشا حينها إلا أن يراسل الملك، الذي لم يجبه، وبقي على حاله ساخطا على القنصل حتى أقبل العيد وحدث ما حدث»[2]، وهذا إنّ دلّ على شيء إنما يدل على مكر اليهود في جميع الأزمان والخيانة صفة لصيقة بهم، وتمسك الباشا برأيه بعدم الصلح « وهكذا داوم الرسول على مرسى المحروسة ذهابا وإيابا عاما آخر، يحمل الشروط نفسها وظل الباشا متمسكا برأيه»[3]. وقد عمل "ابن ميّار" دور الرسول بين المعسكرين أثناء الحملة وهذا بطلب الباشا: «كان الباشا يراقب الوجوه في خيبة، تفرق الجمع من حولنا، وبقيت متسمّرا أمام الباشا، أتطلع إليه... ثم تحركت شفتاه: أريدك يا "ابن ميّار" أن تكون في المعسكر من يوم غد، ستكون الرسول بيني وبينهم»[4]، وتلقوا خبر الهزيمة عندما دخل عليهم أحد الجنود: «في المساء اجتمعنا، وفوجئنا بالجندي المضرج بدمائه يقتحم الديوان، حيث وقال: ولقد هزمنا في سطاوالي سألته: والقائد "إبراهيم أغا" فرّ من هناك

[1] – الرواية، ص 130

[2] – الرواية، ص 132

[3] – الرواية، ص 134

[4] – الرواية، ص 139

ونجهل مكانه الآن»[1]. وقد اختصر "ابن ميّار" القول: «تتكاثف الصور من حولي، أرى السلاوي يركض في شوارع المحروسة "إبراهيم أغا" ينحدر منكسرا عبر الدّرب الذي يشق المقابر "يحي أغا" ونظرته المترجية بينما كان اليولداش يحيطون به، دوجة في انتظارها، ثم "حسين باشا" ويده الملوحة في محطة باريس. ترى من أخطأ من بين هؤلاء كلّهم، ومن كانت خسائره أكثر»[2]، وعلى الرغم من أنّ فرنسا استولت على الجزائر بعد أن سلمها لها "الداي حسين" للجنرال "دويورمون" في5 جويلية 1830 ، بعد عقد معاهدة الاستسلام: « كان حفظ أنفسنا وأموالنا ومساجدنا، أحد شروط المعاهدة، بينما تسلّم القصبة ويختار الباشا مكانا يرحل اليه بأهله وأمواله ويظل بقايا الجنود اليولداش في المدينة مثلما كانوا دائما»[3]، كان "ابن ميّار" يكره ميمون حيث أنّه يحمله خيانة المحروسة ويتّضح ذلك في السياق الآتي « هذا الرجل وأشباهه، هم من أعان اليهود وأعطى الفرنسيين سببا لاحتلال المدينة»[4]، وقد قارنه بالسلاوي في موضع آخر: « يلتقي "السلاوي وميمون" في كرههم "لبني عثمان"، كانا يريدان أن يحكم المغاربة بلادهم، ولكنهما افترقا في وجهة النظر بعد دخول الفرنسيين عرض "ميمون" نفسه كمساعد في فتحهم الجديد إذ كان أكثر الناس معرفة بالبلاد وأهلها. بينما كان "السلاوي" من الذين قاتلهم في سيدي فرج ثم سطاوالي وأخيرا في الحراش»، وقد كان "ميمون" في نظر "ابن ميّار" متلون يريد قضاء مصالحه الشخصية فقط من أجل المناصب « أوهم "ميمون" "بورمون" بأشياء كثيرة حتى نصبه رئيسا علينا في مجلس البلدية، ثم حين حلّ "كلوزيل" نصبه على الأوقاف... ثم فرّ إلى مرسيليا»[5]، وعبّر "ابن ميّار" عن استحواذ الفرنسيين على المساجد والأوقاف، حيث حزن على ذلك أكثر من حزنه على أراضيه التي استولى عليها الضابط "كافيار":« لم يكن همّي على ما فقدت من ضياع، بقدر ما كنت

[1] – الرواية، ص 142

[2] – الرواية، ص 204

[3] – الرواية، ص 211

[4] – الرواية، ص 211

[5] – الرواية، ص 59

حزينا على المساجد والأوقاف التي أخذت عندما حل بورمون ومن بعده كلوزيل، ومضت سنوات ثلاث لم نستطع استرجاع أي منها، جامع باديسان، جامع الرابطة، والصباغين، والقبائل...»[1]، وقد حزن على غياب صديقه المفتي: « نعم لطالما اعتقدت أنّ صديقي المفتي قد مات منذ سماعه قرار نفيه إلى الإسكندرية، وجدته يبكي ذلك المساء،... لم يتحمل رؤيتهم وهم يهدّون المساجد، حتى الكتب رأيتهم يأخذون الصناديق المليئة بها... شاهدت بقايا الكتب تتناثر في باحة أول مسجد أقتحم»[2]، كان "ابن ميّار" يكتب عرائض شكاوى الناس، ويريد أن يبقى "العثمان" أو عقليته بني عثمان في المحروسة وأن يرحل الفرنسيون، ولكن دون جدوى ونجد ذلك في قوله: « وطفقت أبعثر العرائض حولي، شكايات أهالي المحروسة تتحول أمامي إلى حقيقة، نساء يردن استعادة رجالهن من الأتراك الذين رحلوا. وأطفال يريدون أباءهم، وتجار أخذت ضياعهم ومتاجرهم وشيوخ المساجد يبكون حال أوقاف آلت إلى غير وجهتها»[3]، ثم قرر "ابن ميار" الرحيل إلى فرنسا وذلك من أجل إيصال العرائض إلى الحاكم والتي تقول: يجب على الدولة الفرنسية بعث لجنة، تتقصى أمر الوضع في الجزائر والانتهاكات التي كانت تقوم بها في حق الجزائريين: «ورحب بنا العجوز في تعب باد، ثم أومأ لي أن أبسط طلبي، ولم أدر من أين سأبدأ. فسحبت العريضة من محفظتي، وسلمتها له، وقلت: إنك يا سيدي لن تجد مرآة تعكس الحقيقة مثلما تعكسها هذه العريضة بين يديك، كل رجائي أن تسلمها إلى الملك... إن كان ما كتب في العريضة صحيحا فلن نسكت عن الأمر، وستشكل لجنة تعاين المدينة من أجل أقصاه شهران أو ثلاثة»[4]. والغريب في الأمر أنّ "ابن ميّار" على الرّغم من ثقافته وإيمانه، كان يؤمن بالأولياء الصالحين، حيث أنه لم يغادر المحروسة إلا حين أتته إشارة من الطائر: «رأيته يحط على شجرة قرب المسجد، فاقتربت منها، ثم رفرف راحلا وظللت أتبع طريقه... تساءلت لحظتها

[1]- الرواية، ص 276

[2]- الرواية، ص 205

[3] - الرواية، ص133

[4] - الرواية، ص 286

عن معنى الإشارة، هل يريد شيخي سفري من المحروسة؟!... كان سيدي يريد مني السفر إليهم هناك في باريس»[1]،

وبالرّغم من كل هذا الذي حدث، توقيع معاهدة الاستسلام، تغيير أسماء الشوارع، تهديم المساجد... إلا أنّ "ابن ميّار" لم يفقد الأمل بعد في عودة بني عثمان: « آمنت دائما بأن السلطان المعظم لن ينسى المحروسة»[2]، وكان دائما ما يجد لهم الأعذار أمام منتقميهم « ليس كلهم كذلك، إنهم لم يخرجوا من أجواقهم إلا من أجل الدفاع عن المحروسة، بل لم يغادروا أزمير إلا من أجلنا»[3]، وقد تحدث عن سرقة القبور وكيف كان الباشا يحفظ سلامتهم أحياء وأمواتا: «أولئك المالطيون في البداية كانوا يتسلّلون مثل خفافيش في الليل... ثم تجرؤوا وصاروا يغزون مقابرنا نهارا، يفتشون عماّ تبقى من عظام أطفالنا... في زمن الباشا كنا مصانين أحياء وأمواتا، فصاح في وجهي متهما إياي بالولاء للأتراك»[4]، حتى أنّ الضباط قد اكتشفوا أنه لا يزال يكن محبة للعثمانيين ويريد عودتهم»[5], وقد نفي "ابن ميّار" بعد البلبلة التي أحدثها من عرائض وشكايات ومواجهة للجنرالات وقد قدّم عريضة للحاكم الفرنسي الذي أتى إلى المحروسة: «سيدي منذ ثلاث سنوات سلّمنا المدينة على شرط الاحتفاظ بأموالنا وضياعنا، ومساجدنا، وأوقافنا، وقد أخذت منا، ثم ها هم يسرقون عظامنا من المقابر ولا أحد يردعهم... أذكر أن بلادي كانت أول دولة تعترف بالثورة الفرنسية، وحينما قاطعتكم أوروبا، كنا نحن نزودكم بالقمح كالدين طويل» [6]. ونجد أن الكاتب قد استعمل "التناص التاريخي" حيث أنّ جلّ الشخصيات في روايته تتشابه مع شخصيات حقيقية في تاريخ الجزائر وتتقاسم معها صفاتها وأحداثها ومن بينهم "ابن ميّار"، الذي يشبه شخصية "حمدان خوجة" «من أبرز ممثلي التيار العثماني، الذي ولد سنة1773 بالجزائر العاصمة، على عهد الداي "عثمان

[1] – الرواية، ص 55

[2] – الرواية، ص 128

[3]– الرواية، ص 146

[4]– الرواية، ص 51

[5]– الرواية، ص 51

[6] – الرواية، ص 60

باشا"، لعب "حمدان خوجة" دورا هاما في مدينة الجزائر أثناء وقوع عملية الاحتلال خاصة... وقد كان محل ثقة الداي ولذلك أرسله إلى صهره "إبراهيم" آغا... دخل الفرنسيون بعد توقيع معاهدة الاستسلام في5 جويلية 1830... ظهر نشاط سياسي في شكل مبادرة نحو إبلاغ الرأي العام الفرنسي أولا بالفضائح التي ترتكب باسمه في الجزائر وذلك عن طريق تجهيز العرائض والشكاوي... تذكر بعض المصادر الفرنسية أنّ "حمدان خوجة" كان يرغب في إيقاف القتال مع الفرنسيين حقنا لدماء المسلمين الجزائريين... لا فرق بين أن يحكمنا "زيد أو عمر" وإنما نطالب...بالمساواة التامة... ففي كتابه الذي ألفه في أكتوبر1833، وجه لوما شديد اللهجة إلى الفرنسيين على خرق بنود اتفاقية الاستسلام»[1]، وهذا بالضبط ما جاء في أحداث الرواية، حتى أنّ الروائي ذكر كتابه عندما كان عند العجوز« فسحبت العريضة... إنك يا سيدي لن تجد مرآة تعكس الحقيقة مثلما تعكسها هذه العريضة»[2]، وقد تحدث في كتابه "**المرآة**" عن المفتي الذي ذكره سابقا من قبل الروائي: « كان المفتي سيدي "محمد العنابي" رجلا نزيها وفاضلا، ذنبه الوحيد أنه كان يكتب دائما إلى الجنرال "**كلويل**" يلومه على تصرفاته التي كانت تبدو مخالفة لوثيقة الاستلام، للقوانين الفرنسية ولحقوق الإنسان، قبض عليه رجال الدرك وقادوه إلى السجن»[3]، وذكر أيضا شخصية "**ابن ميمون**" واسمه في الحقيقة "**بوضربة**" « كان أحد أعضاء هذا المجلس وهو المسمى "**بوضربة**" في نزاع معي فلم أكن أرغب في لقائه، وكل منّا يشتكي بصاحبه إلى القائد الأعلى»[4]، فـ "**بوضربة**" « كان يمثل الاتجاه الوطني ينتمي إلى نفس الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها "**حمدان خوجة**"، ويوصف "**بوضربة**" بأنه كان رجلا ذكيا وماكرا واشتغل قبل الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بالتجارة الخارجية، وكان يملك محلا في

[1]–أحمد عصماني، النخبة الجزائرية وموقفها من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر1830، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد17 جوان2017 ص: 5–6

[2]– الرواية، ص 286

[3]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ص114

[4]–المرجع نفسه، ص 112

مرسيليا»[1]، وقد أخبر "**حمدان خوجة**" كيف أنّ الفرنسيين قد اتهموه بالخيانة والولاء للأتراك: « قبل هذا العرض كنت متهما نظرا لأنني كنت في خدمة الأتراك، بأني أرغب في عودتهم»[2]، ونجد الكاتب في هذا الجزء بالضبط قد قام بعملية حفر في التاريخ وأراد سد الفراغات فيه، عن طريق مساءلة التاريخ عبر وجهات نظر متباينة ومختلفة، وشخصية "**ابن ميّار**"، هي شخصية مساندة للنظام العثماني أنداك حيث أنه من خلال مقولاته، التي ترى بأن آل عثمان هم منقذو الجزائر والذين حافظوا على استقرارها وأمنوا حدودها مع تونس والمغرب ومن هجمات الإسبان وجعل البلاد مستقرة ومن أمثالها في الحقيقة: "**حمدان خوجة** " و"**العنابي**"، بالإضافة إلى "الشيخ **عمر بن قدور الجزائري**" ومن الأسباب التي جعلته يتعلق بالخلافة العثمانية هو أنّ « هناك مجموعة من العوامل أثرت في فكر "**بن قدور**" وجعلته يؤمن بالخلافة العثمانية ويتفاعل مع قضاياها منها الداخلية... البيئة التي نشأ فيها "**بن قدور**" وكذا الأساتذة الذين تتلمذ على أيديهم وتأثر بأفكارهم وتوجهاتهم، منهم شيخ الجماعة "**عبد القادر المجاوي** و**عبد الحليم بن سماية**" المتأثر بفكرة الجامعة الإسلامية حسب ما ذكره "**سعد الله**" نتيجة زيارته المتكررة للمشرق، والشيخ "**سعيد بن زكري**, و**محمد أطفيش**" وغيرهم من الرواد الأوائل،... عوامل خارجية... تأثر بكتابات "**جمال الدين الأفغاني** ومحمد عبده الداعية" إلى الوحدة والائتلاف الإسلامي في إطار الجامعة الإسلامية... ومن بين أهم الأسباب تبقى الدولة العثمانية، في نظر "**بن قدور**"، هي الخطر اليهودي؛ ففي مقال بعنوان "**بين الشدة واللين بأيهما تعمل:** « تعرض لمختلف دسائس اليهود التي كانت وراء المصائب التي وقعت للعالم الإسلامي»[3]، ويدافع الأستاذ الدكتور "**سعيدوني نصر الدين**" عن الدولة العثمانية حيث يقول: « الجزائر في إطار الدولة العثمانية تطورت من تبعية

[1]–أحمد عصاني، النخبة الجزائرية وموقفها من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر1830، ص 8

[2]– المرجع نفسه، ص 114

[3] – مولود قرين، قضايا الدولة العثمانية في اهتمامات الشيخ " عمرو بن قدور الجزائري"–محلية دراسات وأبحاث المحلية العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية/ مجلد13–عدد1– جانفي2011 السنة الثالثة عشرة، ص: 4–5

فرضتها الظروف إلى استقلال فعلي، إلى سيادة رسمية، إلى شكل الدولة المستقلة، فكان البيلربيات تواصلا مع الدولة العثمانية، وكان الباشاوات استمرارا في الجهة المتقدمة في الصراع، ثم الآغاوات الاستقلال الفعلي، يأتي الدايات تأخذ الجزائر شكلها الحقيقي بعد ذلك في1711عندما يرفض الدّاي "**شعبان**" استقبال مبعوث السلطان العثماني وبذلك يتحقق الاستقلال النهائي»[1]، وقد قام بنقد كل من يرفض ربط الدولة العثمانية بالجزائر أو يطلق عليها اسم احتلال: « كثيرا ما يقول الأوروبيون إنّ العهد العثماني استعمار وهناك عنصر تركي مستبد... هذه الأطروحات مهد لها "**غرامون**" وأكدتها كتابات الأوروبيين "**بايسونال، بنلتي وغوايتوبيندي ووليام شالر**" وغيرها، لكن لها بعد سياسي وهو تشويه صورة الجزائر لابتلاعها من طرف المشروع الاستعمار الفرنسي، لسوء الحظ أنّ هناك الكثير من الجزائريين وقعوا في المحظور منها "**مولود غايت**" لكتابه "الترك في الجزائر" ومنهم "**عبد الرحمن بن شلهوب، محي الدين حيدر**" وغيرهم فذهبوا نحو هذه المقولات لارتباط الدولة الجزائرية بنوع من الاستعمار ثم أتى الببغاوات من السياسيين والإيديولوجيين ينسي هذه الفكرة، لكن هناك مجموعة من المؤرخين أمثال" **توفيق المدني**" أعطوا للفترة حقها».[2] نجد أنّ هناك العديد من أمثال "**د.سعيدوني**" يدافعون عن الدولة العثمانية ويعتبرونها البطل المخلص، ولولاه لكانت الجزائر إلى الآن ملكة من ممتلكات الدولة الإسبانية، بعد سقوط الدولة العثمانية نهائيا على يد "**مصطفى كمال أتاتورك**"، هناك بعض الأشخاص يريدونها وبشدة للعودة والرجوع إلى العالم وذلك خدمة لمصالحهم الشخصية، حيث يقول الأستاذ "**أنور الجندي**":« وإذا كان الاتحاديون قد حطموا الدولة العثمانية، وفرّقوا رابطة العروبة والإسلام، فإن "أتاتورك" قد حقق عملا واحدا في التاريخ الإسلامي أشد قوة وخطرا من كل عمل، وهو إلغاء الخلافة الإسلامية وتحويل تركيا من دولة إسلامية تحمل لواء الجامعة الإسلامية والخلافة وقيادة الأمم

[1]– سعيدوني نصر الدين، ندوة علمية دولية تنظيم بمناسبة الذكرى500 لوصول الإخوة بربروس إلى شواطئ الجزائر يومي 10/9 نوفمبر2016،
https://www.youtube.com/watch?v=htJ0SF8rzRg

[2] – http://www.cia.gov/libary/abbattabad-oompound

الإسلامية، إلى دولة غربية خالصة تكتب من الشمال وتطبق القانون السويسري المسيحي... بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام1923 المعروفة بشروط كرزون الأربعة: قطع كل صلة بالإسلام، إلغاء الخلافة، إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد»[1]، وعندما حلّت هذه البروتوكول في تركيا بطبيعة الحال ستتأثر محمياتها، لذلك ظهرت في ساحة ما يسمى بحركة الإخوان المسلمين برئاسة **حسن البنا** والذي ولد في سنة 1906 وكان ضمن هذه الجماعة "**جمال عبد الناصر**" ولكنه سرعان ما أنفك عنها، كذلك تأثر بفكرها وتبناها **سيد قطب** والذي ولد كذلك عام1906 «أسس حركة الإخوان المسلمين "حسن البنا" في مصر عام1928 في مدينة الإسماعيلية... وكان يهدف من ورائها إلى نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ومقاومة المنكرات كالخمر والقمار ومقاومة الإرساليّة الأنجيليّة التي كانت تمارس عملها في مصر... أثرت كلمات "حسن البنا " في العديد من الشباب المصري منذ عام 1928 ستة منهم وهم "حافظ عبد الحميد"، "أحمد الحضري"، "عبد الرحمن حسب الله"، "فؤاد إبراهيم"، إسماعيل عزّ، وزكي المغربي"، وأبلغوه عزمهم على مبايعته بيعة على أن نكون لدعوة الإسلام جندا وفيها حياة الوطن وعزة الأمة وقبل "حسن البنا" البيعة على أن يكون إخوة في الإسلام، فأطلق على أول خلية اسم: «الإخوان المسلمين»[2]، كانت هذه المنظمة ترفض الدخول إلى عالم السياسة في البدء، ثم عندما رأت نفسها تكتسح الساحة، دخلت وبقوة وهذا ما يقوله "**د. عدي محمد كاظم**" : « آمنت حركة الإخوان بنظرية التدرج في العمل وتجنب العمل السياسي في بداية تأسيسها وذلك لتجنب وأد الحركة في بداية ولادتها وقد نهلوا هذه الفكرة من السيرة النبوية العطرة... وبعد أن قوت شوكة تنظيمهم ولج الإخوان المسلمون ميدان السياسة ومن أوسع أبوابها... طرحت حركة الإخوان المسلمين في تلك المرحلة مشروعا متكاملا كان من بين أبرز أهدافه إقامة كيان سياسي–اقتصادي، إسلامي جامع... أسهمت تصرفات الجهاز السري المتطرفة إلى بذر نواة الإرهاب والعنف

[1] – "كمال أتاتورك"– إسقاط الخلافة الإسلامية– الأستاذ أنور الجندي ص: 03

[2] – عدي محمد كاظم السبتي–الإخوان المسلمون في مصر1928–1973، دراسة تاريخية مجلة مركز بابل للدراسات الاثنائية,2019، المجلد 9، العدد1، ص: 61/5

داخل الحركة من جهة والى توتر العلاقة بين الحركة والحكومة المصرية من جهة ثانية... وبروز "سيد قطب" كقائد مهم ومنظّر مؤثّر داخل التنظيم من جهة رابعة والتي أسهمت طروحاته – التي وضعها في كتابه معالم في الطريق والذي يعد دستورا للحركات الإسلامية المتطرفة من جهة– ... إلى حدوث انشقاقات خطيرة عن الحركة كان من بين أبرزها جماعة شباب محمد والتكفير والهجرة وتنظيم الجهاد والقاعدة وداعش والتي تورطت جميعها بأعمال عنف وإرهاب أعطت صورة سلبية وقاتمة عن الدين الإسلامي الحنيف»[1]؛ فسيد قطب كان يقول بتوحيد الحاكمية أي معنى لا اله إلا الله هو لا حاكم إلا الله وهذا تحجير لمعنى كلمة لا إله إلا الله، إضافة إلى تكفير المجتمعات الإسلامية بالخطيئة ومنها انبثقت مجموعة من الشباب الذين استحلوا دماء المسلمين بداعي كفرهم، وهي دعوة متطرفة أساسها الخروج عن الحاكم ومنازعته أمره، وقد فسّر القرآن الكريم اعتمادا على فكره اللغوي وفهمه الخاص لا فهم المفسرين السابقين ولا المحدثين، وقد امتد تأثير هذه الحركة (فكر الإخوان المسلمين) إلى الجزائر، وتبناه العديد من الإصلاحيين الّذين استغلوا الوضع السياسي بعد مظاهرات 5 أكتوبر 1988 التي ساهمت في إنشاء التعددية الحزبية، فظهر "حزب الإخوان" وذلك بسبب الأزمة التي تنتخب في الجزائر آنذاك، إذ إنّ «أزمة العدالة التوزيعية والعنف السياسي فتعمّقت بفعل الأزمة الاقتصادية الناتجة عن تقهقر أسعار النفط لسنة 1986 واقترانها بانخفاض قيمة الدولار والتي أدت بدورها إلى ظهور أعمال الشغب والعنف الجماهيري والمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، كما تعتبر أزمة الهوية من أخطر الأزمات التي عرفها المجتمع الجزائري نظرا لانقسامه بين اتجاهات متعددة، حيث تمسك البعض بالاتجاه العروبي والبعض الآخر رأى في الاتجاه الإسلامي بديلا لتحقيق التوازن المقصود في الشخصية القومية، في حين فضّل البعض الآخر العودة إلى الهوية الأمازيغية، وكانت هذه الانقسامات سببا في انهيار النخب والمؤسسات الحاكمة»[2] لتكتسب أزمة الهوية بعدا آخرا لارتباطها بأزمة شرعية... هنا بدأت مظاهرات الشاب في الأحياء الشعبية

[1]– المرجع السّابق، ص: 17

[2] – المرجع نفسه، ص17

بالعاصمة مساء4 أكتوبر، والتي انتهت بأعمال شغب مست كل ما يرمز للدولة والحزب الحاكم. وابتداء من 5 أكتوبر1988 انخرط كبار السن في الإضرابات وتوجيههم للمتظاهرين... لقد واجه نظام "الشادلي بن جديد" بوادر الانفجار الشعبي الاجتماعي فكانت أحداث أكتوبر1988 التي دخلت من خلالها الجزائر مرحلة جديدة بإقرار التعددية السياسية والحريات في المجتمع عرف من قبل بسيطرة الدولة على مؤسسات المجتمع المدني بتقييد حركتها»[1]، فالشعب الجزائري بعد كل هذه المعاناة، كان متعطشا إلى الدين وأن تكون دولة ذات أسس دينية تحكمها الشريعة الإسلامية، و كان التيار الإسلامي ممثل بثلاثة أحزاب: حركة مجتمع السلم "حمس" ، بقيادة "محفوظ نحناح"، الذي يعتبر امتدادا للحركة العالمية لجماعة الإخوان المسلمين، وحركة النهضة، والجبهة الإسلامية للإنقاذ، وكلها كانت تنشط في السر فاستغلت حماس الشباب وتعطشه للدين، خاصة في الإقامات والجامعات وقد عبّر عنه الدكتور "جيدور حاج بشير" بقوله: « لقد تمتع تيار الإسلام السياسي في الجزائر بواقع وردي غداة تأسيسه بعد إقراره التعددية الحزبية النقابية وتدشين عهد الانفتاح على الحريات والتحول إلى الديمقراطية سنة1989... وتمكن في بدايته من نيل ثقة المواطن الجزائري عندما فاز عن طريق أحد ممثليه وهو الجبهة الإسلامية للإنقاذ بانتخابات سنة1990 المحلية ونصف الانتخابات التشريعية سنة1991، كما كانت الخريطة التي رسمها زاخرة بعدد من الأسماء لأحزاب سياسية ذات توجه إسلامي... لكن جاء على هذه الحركات حين من الوقت بدأت تفقد فيه بريقها ويخفت فيه صوتها ويتراجع مستوى أدائها وتتقاسم فيما بينها ما بقي لها من أطلال كتل تصويتية كانت ذات يوم كبيرة ومؤثرة»[2]، فشلت هذه التيارات الإسلامية لأنها لم تكن تملك جوهرا حقيقيا تناضل من أجله، بل كان مبتغاها الوحيد الوصول إلى مقاليد الحكم في الجزائر وفقط ولو على حساب وحدة الشعب وأمنه، ومنهم من

[1]–رمضاني فاطمة الزهراء، د/عيادي محمد سمير، مكافحة الإرهاب وإشكالية تمكين حقوق الإنسان،مجلة أكاديمية، العدد الخامس، جوان، 2016، ص، 8–9

[2]– حيدور حاج بشير، مأزق الإسلام السياسي في الجزائر، دراسة تحليلية عن تراجع الأداء السياسي للأحزاب ذات التوجه الإسلامي، دفاتر السياسة والقانون، العدد19جوان2018، ص12

استغل الوضع لتشكيل خلايا عسكرية بدعوى الجهاد الزائف ضد أبناء الشعب الواحد، واتخذت كذلك شعارات زائفة مظهرها الدين وباطنها الوصول إلى السلطة والحكم، فهم يشبهون إلى حد كبير العثمانيين في مآربهم اختلفت فقط الأزمان والأعراق، « انطلاقا من ملتقى العاشور خرجت الدعوة الإسلامية في الجزائر التي اعتمدتها الحركة الإسلامية الجزائرية من أسوار الجامعة لتلتحم بالأوساط الشعبية نتيجة سياسة الانفتاح والمراجعة التي تبنتها السلطة الجديدة... هذه الفترة بالذات يظهر على ساحة الأحداث في الجزائر "مصطفى بويعلي"، وهو إمام مسجد العاشور بضواحي العاصمة الجزائرية حيث عبّر وبصراحة، في دليله الذي وجَهه للسلطات، عن تعظيمه وتبجيله "قيام دولة إسلامية في الجزائر كمرحلة أولى، ثم الانتقال الى تكوين نظام يجمع كل البلدان الإسلامية عاصمته مكة، وحمل هذا الاسم الأول للكفاح ضد الملحدين فيما بعد اسم الحركة الإسلامية في الجزائر، إلا أنه لم يمر وقت طويل حتى تحول الاسم صراحة إلى الحركة الإسلامية المسلحة»[1]، وهي دعوى صريحة لمنازعة الحاكم في سلطته بالقوة، فحدث ما حدث من وقائع شنيعة مثل مجزرة بن طلحة « في صيف1997، وبينما كانت الجزائر تواجه حربا أهلية بدأت قبلها بخمس سنوات، وقعت سلسلة مجازر فيما يسمى" بمثلث الموت", لاسيما بمنطقة البليدة المحاذية للعاصمة. وفي ليل 22 و23 أيلول/سبتمبر، تعرضت بلدة بن طلحة، بدائرة براقي، لأكبر مذبحة جماعية عرفتها البلاد وقتل فيها أكثر من400 شخص ورغم مرور عشرين عاما على هذه المأساة إلا أن العائلات الضحايا لا تزال تتألم لذكرى موتاها وبشاعة هذه العملية»[2]، والغريب في الأمر أن جل الذين انخرطوا في هذا التنظيم الزائف انقلبوا على مبادئهم بمجرد صدور مراسيم العفو الشامل من السلطة الجزائرية، وهذا دليل واضح على شغفهم بالدنيا لا بالدين، بل كان الدين غطاء لتوجهاتهم السياسية ومآربهم الشخصية، فقد تبرأ الكثير منهم من

[1]-بداية تشكل العنصر الإرهابي في المجتمع الجزائري، ص 26-27

http://thesis.univ-biskra.dz بداية تشكل الفكر الإرهابي في المجتمع الجزائري الفصل الثالث، ص 26-27.

[2] http://webdoc.france24.com/alogent-terrorisme-beta-2lha-massacre

مظهرهم الديني (تخلوا عن اللحى، ارتدوا البدلات الإفرنجية...)، وبعد هذا بزمن عادت الحركات الإسلامية، لكن بمسميات مختلفة واستغلت الوضع السياسي الحرج لتدخل في مظاهرات 22 فيفري 2019 التي كان سببها رفض الأوساط الشعبية للعهدة الخامسة للرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة بدعوى عدم قدرته على تسيير البلاد، أبرز هذه الحركات الإسلامية حركة رشاد التي تأسست في أفريل2007، أسسها سبعة أشخاص منهم: « "العقيد سمراوي" وانسحب في ديسمبر2007، "رشيد مصلي محامي"، "عباس عروة" بروفيسور في الفيزياء، "محمد العربي زيتوت" دبلوماسي، "مراد دهينه"» ونجد أنّ "مراد دهينه" كان عضوا قياديا في جبهة الاتحاد الإسلامية « في عام 2004 بعد الإفراج عن قادة جبهة الإنقاذ الإسلامية، وهم "عبّاسي مداني وعلي بلحاج". رفض "دهينه" المصالحة الوطنية في الجزائر وقرر ترك قيادة المكتب في الخارج، وقال في إحدى مقابلاته الصحفية عام 2006 « إنّ ما جرى في الجزائر سنة 1992 هو انقلاب عسكري وبالتالي كان مشروعا مواجهته عسكريا وتحدثت صحف تركية محلية عن مذكرة فرنسية سرية تفيد بأن المخابرات التركية استقبلت سرا كوادر" حركة رشاد" في كل من مدينتي أنطاليا وإسطنبول، ووعدتهم بدعمهم لوجيستيا وتقديم مساعدات مالية لتعزيز نشاطهم الدعائي لاستقطاب الشارع الجزائري، إلا أن السفارة التركية في الجزائر نفت ذلك في بيان رسمي مبينة أن هذه الادعاءات تسعى إلى تقويض العلاقات بين البلدين الصديقين»[1]، فهذه الحركة تريد أن تخل بالنظام والأمن الجزائري، وهي تقوم بنشر غسيل الجزائريين أمام الخارج وهذا ما يجعل الجزائر محل أطماع، وتبدو من هنا أن الدولة التركية تريد بعث الدولة العثمانية من جديد.

4-حمة السلاوي:

شخصية شعبية ثورية، يريد أن يمنح بلاده الاستقلالية وكامل السيادة الوطنية، لا يحب الوجود التركي ولا الفرنسي – يريد أن تكون الجزائر ذات حكم مغاربي فقط وذلك في

[1] http://www-bbc.com/arabica/middleast

قول ابن ميار عنه: «يلتقي السلاوي وميمون في كرههم لبني عثمان، كان يريد أن يحكم المغاربة بلادهم»[1]

أ- ضد الأتراك:

نجد «الأنا» عند السلاوي واعية مبنية على ما شاهده وعايشه في تلك الحقبة، حيث أن الروائي ابتدأ فصل **حمة** بالشجار مع اليولداش، وقد كان دقيقا في تعبيره باعتبارهم غزاة يفرقون ويظلمون المغاربة «كانوا يتصايحون خلفي بلكنتهم اقبضوا عليه حثث الخطى ثم وجدتني أوسع بينهما همست اللعنة عليكم. كان جنود اليولداش سريعين خلفي، ولكنني لم أكن لأتوقف، فلا يعرف الإنكشارية الرحمة حين يتعلق الأمر بالمغاربة»[2]

ووصف إزعاج اليولداش لم يكن مثل الذين يجمعون الضرائب ويطلق عيهم مصطلح «الزوافة»، حيث يقول «فلم يكن الرياس يوما مصدر إزعاج للناس بقدر ما كان اليولداش ولم تكن كراهيتي لهم مثل كراهيتي للذين لا يغادرون أوجاقهم إلا بضرائب جديدة تؤخذ منا أو المؤامرة لقتل باشاهم»[3]. وقد أوضح كيف دخل بنو عثمان إلى المحروسة: «قبل سنين بعيدة حل بنو عثمان بالمحروسة، قتلوا أميرها الذي استنجد بهم، وجلسوا على كرسيه، واضطهدوا أهله»[4]، بأي حق يقتل القائد أمير الجزائر؟ هل جاؤوا للحماية أم للقتل؟ وقد كان **حمة** معترضا على الأعمال التي تقوم بها الدولة العثمانية من قرصة السفن أو أخذ الضرائب منها من أجل الحماية، حيث يقول: «يا ابن ميار عليهم التوقف من اعتراض سفن المسيحيين. مرت ثلاثة قرون، ولم ترجع الأندلس مثلما وعدونا، لماذا لا ينشغلون بنا أهل المحروسة، ألا تلتف حولك، الخوف هو ما يرغم الناس على الهتاف لهم، لا تنجح أمة حياتها في سلب حياة الآخرين. جلَ سكان المحروسة يعيشون عالة على مال الأوقاف، والتجار أرهقتم الضرائب، فبارت تجارتهم بنو عثمان حولوا هذه المدينة سجنا كبيرا للمسيحيين، وحتى

[1] –الرواية، ص59

[2] – الرواية، ص 63

[3] – الرواية، ص 64.

[4] – الرواية، ص 68.

لأهلها، واليوم لا أرى مصانع غير التي تصنع المدافع والبارود، ولا مشفى غير الذي بناها الإسبان للأسرى المسيحيين ولا يوجد في المحروسة طبيب. أستغرب كيف لا تنتبه وأنت الذي لم تترك مدينة أوروبية إلا زرتها، وإسطنبول قد اعتدت التردد عليها كل حين، لمَ لا تريد أن تفق يا صديقي؟»[1]،

فالنظام الذي كانت تقوم عليه الدولة، برأي السلاوي، لا يستطيع أن يخدمهم إلا هم، فهو مبني على نظام الضرائب التي تفرض على السكان بالقوة. كذلك، بالرغم من أنهم قلة قليلة إلا أنهم هم من يحكمون شعبا كبيرا وقد كان حمة يتمنى رحيلهم دوما وهو ما جاء في قوله: «أحبَّهم وكرهتُهم، ورجا بقاءَهم وتقت إلى رحيلهم، كل سنة كنت أراهم يغدون بالمئات من الأناضولية، لا يحملون شيئا معهم سوى كونهم أتراكا، يبنون لهم أجواقا جديدة...أما في سنوات الوباء فلم ترفع الضرائب، ولم تفتح مخازنهم لأحد منا، بل ظلت معاشاتهم تزداد، يحذر الباشا أن ينتقص منها ريالا واحدا»[2]، حيث كان الباشا في أيام القحط لا يبيع القمح لغير الجزائريين ولكن في المقابل لا يفتح خزائنه وأراضيه لهم «إذا كان الباشا يحرص على الناس فليفتح مخازنه، هو والخزناجي وآغا العرب، فما يملكه من أراضي لا يملكه أهلك»[3]، دائما في رأي حمة « الإسلام » مهما يجمعنا إلا أنّ الطبائع تبيِّن جنس الفرد بحيث يقول: « رأيتهم يملؤون المحروسة، كانوا مختلفين عنا، ينبهني التجار أنهم مسلمون مثلنا ولم يبدو لي أن الأمر متعلق بالدين بل بعرقهم. بسهولة تكتسي طبع هؤلاء الأتراك، كبرياؤهم لا حدود لها، ميالون إلى إهانة الناس، كانت بيوتهم أجمل من بيوتنا، ومزارعهم أوسع من مزارعنا، ومفتيهم له الكلمة الأخيرة عند الباشا الكبير، بالرغم من أننا أكثر عددا»[4]، إنهم يتقلدون المناصب العليا وهم محتكروها، و لا يوجد رأي للجزائري الّذي إذا جد الجد هو الذي يقف في وجه الأعداء، وقد علق حمة السلّاوي على بناء الأسوار العالية التي تشبه السجن:

[1]- الرواية، ص 135.

[2]- الرواية، ص 65.

[3]- الرواية، ص 58.

[4] - الرواية، ص 66.

« تبدو لي أسوارها عالية كأنها تناطح السحاب، واليوم لا يتراءى لي السور بذلك العلو، مثلما لم أعد أشعر أنه يحمينا كما أوهمونا في السابق، ليست الأسوار من يحمي المدن بل محبة أهلها هي التي تحميها، والأتراك لم يكونوا من أهلها لذا كانوا أكثر حرصا على بناء الحصون والأسوار، صرت بمحاذاة السُور، ورأيت القصبة...وتراءى لي حصن الإمبراطور من هناك، ودوما اعتقدت أنه يبنى لقصف المدينة لا للدفاع عنها فما إن سقط في أيدي الفرنسيين حتى استسلمت المدينة لهم»[1]، وقد كان يستفزهم دوما بعرائسه ساخرا منهم ومن حكمهم: «تغدوا وجوههم وردية، وهم يسمعون حواراتها الساخرة، حينما تجعل مؤخراتهم وعمائمهم كبيرة الحجم، أو عندما تجعل النساء تمتطي ظهورهم وتضع اللجم في أفواههم ثم تهذر بصوت نسائي ببذاءات بلغتهم الأناضولية، يوشكون على الهجوم عليك، لكنهم يترددون، ثم يرتفع ضحكهم على مشاهدها »، وعندما كانت الحملة على الجزائر لم يكترثوا وأخذوا الأمور بتهاون: «هكذا هم الأتراك، حتى في سطاوالي، كنا أكثر من جنود الإنكشارية، بل ضعف عددهم، وبينما كنا نتضور جوعا، كانوا يدخنون غلاييهم، لا يسير اليولداش إلى حرب إلا حينما يرافقهم البن والتبغ. رأيت الجمال بحمولتها تنحدر بتؤدة نحو المعسكر، خيموا قبلنا، وهجمنا قبلهم في سيدي فرج، كنا في ثلاثمئة فارس فقط، كثير من أهالي المحروسة والعربان وقليل من اليولداش...كنت ألعن الأتراك حينما انطلقت أول الأمر...تجولت بين الخيام، لم يكن هناك حراس عليها، كان اليولداش نائمين، وتصاعد الشخير من بعض خيامنا، انتابتني رغبته غي الصراخ، هل يعتقد النيام أنهم بالفعل قادرون على الدفاع عن المحروسة؟ تركتهم يبقرون بمعاولهم، وتعالى شخير جنودنا »[2] وقد شبه اليولداش بالذئاب: « ولا يتناهى إلي غير عواء الذئاب، كم تشبه تلك الكائنات اليولداش»[3]، كما نقد الآغا إبراهيم الذي كان رأس الجيش وتسبب في خسارة الجنود بطيشه وقلة معرفته، واستهزائه بقوة الخصم، فعد تقدير لقوة الجنود الفرنسيين لا يدل إلا على سذاجته وغروره:

[1] – الرواية، ص 67

[2] – الرواية، ص، ص: 144،145.

[3] – الرواية، ص 147.

«كان إبراهيم أسوأ القادة الذين مروا على المحروسة، ولكن بعض الأخطاء أصغر من أن نرتكبها»، وقد قام بمقارنة العربان واليولداش في طريقة القتال، من سيستميت حبا لوطنه؟ : «العربان يقاتلون بطريقة لا نظير لها، حينما تفرغ الجيوب من الرصاص، يسلون سيوفهم، كانوا أبرع في استعمالها، أرى حركتها السريعة، وهي تهوي على أجساد الجنود الفرنسيين، بينما بقي اليولداش على جانبهم، لم يكونوا بالشجاعة نفسها، لا يجرؤ الجندي منهم أن يتوغل بين الفرنسيين»[1]، خيبة الأمل التي أصابت سلاوي من سكان المدينة، لأنهم لم يفعلوا شيئا اتجاه المحروسة منذ سنوات «غير أن أهل المحروسة خانعون ومنذ سنوات يطأطئون رؤوسهم، ويتجنبون الأتراك في الشوارع. المدينة تجعل الناس أكثر حبا وتقبلا للغزاة، أم يفر المؤسرون ما إن رأوا طلائع الجيش تعبر الأبواب؟ لم أر أحدا منهم في سيدي فرج، وفي انحدارنا إلى سطاوالي سمعنا أن بعضهم غادر المدينة ليلا، وبعد استلام المدينة لم نر إلا القليل منهم، اعتدت الهتاف بهم منذ سنوات، حتى بح صوتي وتقطعت عرائسي ورقعتها فبدت أشد قبحا، وأكثر بذاءة»، أحيانا الصلاة والدعاء وحدهما غير كافيتين، فقد وجب على المرء أن يقدم أسبابا لتغيير وضعه نحو الأحسن، وهذا ما عبر عنه السلاوي في قوله: «كل يوم أكتشف أننا نحن أهل المحروسة أكثر الناس خوفا وخشية من الحكام. إننا نحب المحتفظة على ما كسبناه على الدوام، نضطر إلى المداهمة، وإلى خداع أنفسنا بأنها السياسة...يظل اليولداش أشجع منا، ولم يكن الباشا بالنسبة لهم إلا رجلا جالسا على صندوق الأموال، يزيحونه ليسحبوها من تحته، ولا يجرأ أن يرفض، أهل المحروسة مهزومون على الدوام ومتخاذلون، يجعلون الدين حجة يتصبرون بها ويطأطؤون رؤوسهم إيمانا، ثم يهمسون: إنه مكتوب من الله، سندعو اليوم الجمعة ليرفع الله عنا الغبن ويهزم أعداءنا، أردت الصراخ عند أبواب المسجد: أيها المصلون، أين كنتم يوم كنا في سيدي فرج وسطاوالي. الناس يحتمون من ضعفهم، ومن خذلانهم، ومن بوار تجارتهم، ومن ظلم الأتراك...ولكنهم لم يفكروا يوما في الثورة على جور الأتراك، لو يحبوا بعضهم كفاية فيجتمعوا. الأعراب والقبائل أفضل منهم، كانوا أميل إلى الثورة، نعم لا طالما آمنت أن الدينة تجعل الانسان أكثر ذلا

[1] – الرواية، ص 149.

وأميل إلى العبودية» [1]، كانت القبائل البربرية أميل إلى الحرية، يرفضون أن يكونوا عبيدا تحت رحمة الاستعمار، عكس العرب الذين يتماشون مع مصالحهم الخاصة، كان السلاوي يكره المزوار لأنه يتاجر بعرض المحروسة للأتراك الأوباش، ودائما ما أراد قتله وأن يخلص الأمة من قذارته، كونه ظالما يستقوي على النساء الضعيفات الحال، وقد كان متلونا يأتي مع هذا ويذهب مع ذاك، ويغير من قشرته كالحرباء، فلا تهمه المبادئ ولا الأخلاق ولاحبه لذاته أو لوطنه، لذلك السلاوي تزداد رغبته بأن ينهي حياته في كل يوم يراه، وقذ جاء في أقواله كالآتي: «استيقظت داخلي الرغبة في قتله، ولم انتبه أنني كنت ألهث من ركض، نادى عليها المزوار، فتقدمت حافية»[2]، وقد وصفه بعدم الحياء: «ما كان يفعله في زمن بني عثمان خفية، صار اليوم يفعله أمام الجميع، أي ريح عصفت بي هناك»[3]، وقد بين السلاوي كيف تغير المزوار عند دخول الفرنسيين: «حتى أطل علينا المزوار بثياب تماثل ما ارتداه الجنود الفرنسيون. فوجئت مثلما تفاجأ ابن ميَار»[4]، وفي الأخير فعلها وخلص المجتمع من قذارته، ولكن هل سيندثر؟ أم تخلفه مزاوير أخرى: «كانت يدي تقبض على الخنجر، ثم هويت بها بكل جهدي، الطعنة الأولى في الصدر، سريعة اخترقته...يتقطع جزءا من لحمه، ثن رفقته بالسرعة نفسها وبرق مرة أخرى في عينين مفزوعتين...لم أدري كم كان عدد الطعنات التي سددتها إليه ليخر فوقي» [5]، فحب حمة للمحروسة جعله يرفض أي اعتداء عليها أو المساس بشرفها، فقد كان مواطنا صالحا مخلصا لبلاده لا يغريه شيء لخيانتها، فهي مقدسة بالنسبة له، لا يحب الغرباء يريد أن يكون بلده مغاربيا فقط بحكم مغاربي، مستقلا بذاته مرسوما كيانه، وقد تعب جدا بعد أن أخذ الفرنسيون المحروسة، بعد تسليمها للأتراك بسهولة ودون مقاومة أوردة فعل: «حينما رأيت العلم الأبيض أعلى القصر...فاضت

[1] – الرواية، ص 118.

[2] – الرواية، ص 294.

[3] – الرواية، ص 294.

[4] –الرواية، ص 225.

[5] – الرواية، ص 297.

دموعي إلى جانبي جلس الشاب شرع هو الآخر يبكي، اختلطت الصور والأسماء والشوارع والحكايات»[1]، وفي موضع آخر قال: «المحروسة، هل من أخبار عنها؟
للأسف سلمتها الأتراك للفرنسيين... بالله عليك قل لي الحقيقة، هل فعلا سلمها الأتراك للفرنسيين؟»[2]، وتعود به الذاكرة وهو صغير ليتذكر أحياءه: «تعود المشاهد إلى السلاوي الصغير، يركض بين دروبها الحجرية، وأنا أركض فارا من اليولداش، والآن سيرحلون ولكنهم سيخلَفون جنودا لا يختلفون عنهم، لمَ يا الله يحدث هذا تحت سمائك؟ »[3]، وكأنه كان يلوم الذات الإلهية على ما آلت إليه المحروسة، وقد كان يريد الانضمام إلى الأمير عبد القادر ليقاتل في صفه، خاصة بعد سماعه بكرهه للأتراك: «تقول إن الكلمة قد اجتمعت على الأمير الشاب، وبايعه الناس على قيادتهم، والآن يحارب الفرنسيين حتى أضحت مدن كثيرة تحت لوائه...قلت في نفسي: هذا الرجل الذي ظللت تصبو أن يظهر في المحروسة، ولكن لم يظهر حين كان بنو عثمان يحكمون المدينة؟ يزحف بجيشه عليها ويعيدها إلى أهلها بعد قرون؟» [4]

موقف السلاوي من الاحتلال الفرنسي:

هو نفسه، بل أشد عداوة من ذلك حيث يقول: «إنّ هؤلاء الفرنسيين لا عهود لهم، هم أكثر جشعا من الأتراك...»[5]، فقد كان رافضا تماما فكرة الزواج والإنجاب بحجة أنه لا يريد أن يكون أطفاله عبيدا للاحتلال فهو أراد دوما الحرية فما بالك بأطفاله! « بالأمس كان المغاربة مثل عبيد عند الأتراك، ولم ينجبوا إلا عبيدا آخرين، والآن سيولد أطفال عبيد للأوروبيين»[6]، فقد وصفهم بأنهم مثل الجرائد الذي إذا مرّ على الأخضر جعله قاحل، فهم لا

[1]–الرواية، ص 220.
[2]–الرواية، ص 152.
[3]–الرواية، ص 152.
[4] – الرواية، ص 221.
[5]– الرواية، ص 220
[6] – الرواية، ص 222

يأتون للإصلاح بل للسّرقة والنهب، « فهؤلاء الفرنسيين لم يأتوا إلا من أجل أموالنا وضياعنا»[1]، وقد كان الجميع يشهد على شجاعته، وأنه لا يخشى أحدا «عدا رجل واحد، كان مختلفا عن الجميع، حتى عن "ابن ميّار"، لم ينحن لهم، ولم يسايرهم، بل كان يقذف الشتائم في وجههم، "السلاوي" كان يجرأ أن يفعل ذلك، ولكن أين هو "السلاوي" الآن»[2]، وقد تحدث عن السياسة المتبعة لخداع أهل المحروسة « يعتقد أعيان المحروسة أنهم يفقهون السياسة، ولم يكونوا إلا حفنة من المساكين، يوهمهم الضبّاط بأشياء كثيرة، ويأخذون منهم أموالهم في مقابلها ويستمرون في أوهامهم، ويستمر الضبّاط في خداعهم، مثلما يصّرون على منح ثقتهم للمترجمين القادمين من المشرق، مصريين وشاميين، جاؤوا في ركاب الحملة بحثا عن الثورة والذهب. وكانوا أكثر تأثيرا من أولئك الجنود»[3] وقد تحدث عن مدى قوة وتأثير الدولة العثمانية في ذاك الوقت، حيث أنّ المستوطنين قلدوهم في اللباس، وقد كان لا يهمه الثورة التي حدثت في فرنسا، ما يهمه هو مصلحة الجزائر «لم يهمّني كثيرا، سواء أكان القلم الفرنسي بألوان ثلاثة، أم كان أبيض، وكذلك لا يختلف في نظري "بورمون" عن غيره، كلهم جاؤوا إلى المحروسة للغرض نفسه. عدت إلى حي المقاهي وخلفت "ابن ميّار" يتابع السفن الواصلة ثم وقفت عند باب المقهى، بعض الوجوه الأوروبية الشقراء في ثياب بني عثمان، وعماماتهم، وآخرون أطلقوا بحالهم، يريدون تقليدهم أيضا في ذلك، يحتلون مكانا في المقهى، يتكئون على شاكلتهم، يحتسون القهوة ويمصّون غلاييهم بالطريقة نفسها، يبحثون في كل ذلك عن اللذة التي يجدها الأتراك والمور»[4]. ونجد أن وجه الشبه بين "السلاوي والأمير عبد القادر" كبير، حيث أنه تميز بكرهه للكيان العثماني ومقاومة الاحتلال الفرنسي كانت من أولوياته. لم يقم "الأمير" بمعارضة الدولة العثمانية رغم أنّ هناك من نظامها ما استنكره لأنه في رأيه كانت تمثل الوحدة الإسلامية، حتى بعد رفض آل عثمان المساعدة له

[1] – الرواية، ص 225

[2]–الرواية، ص 167

[3]– الرواية، ص 227

[4] – الرواية، ص 228

ضد الاحتلال الفرنسي، فنجد الكاتب "سعد الله" الذي أرّخ لحياة "الأمير عبد القادر" بكل موضوعية وتحدث عن انتصاراته، قد قام بنقد "الداي حسين" ووصفه بالظالم حيث يقول: « تمهيد "أبو القاسم سعد الله" للمقاومة في الإقليم الغربي قبل "الأمير عبد القادر" بالحديث عن "الباي حسين" في وهران بوصفه فشل في إدارة المقاومة وتسيير إقليمه كونه حاكم لا تربطه بالمحكومين أية رابطة ماعدا التسلط والإرهاب والفائدة المالية، بل يصل إلى وصفه بالظالم، الذي ترك الحكم بفوضى في الإقليم، وهذا الوصف للحاكم وأحوال البلاد ما هو إلا تمهيد يريد الكاتب أن يبرز من خلاله شخصية "الأمير عبد القادر"، كقائد منفذ ومقاوم في كتاباته بأنه الحلم الذي انتظرته الجزائر وأنه عهد بذاته في تاريخ الجزائر تستحق كتاباته»[1]. وقد قسّم الكاتب حياة "الأمير" ومقاومته إلى مراحل:« منها مرحلة1830، 1837 التي جعلته في نظره رجلا فذا في تاريخ الجزائر بل وتاريخ الشعوب المضطهدة، ولاسيما الشعوب العربية والإسلامية، فيصف صفاته العسكرية بأنه تميز عن بقية الشبان بالشجاعة الفائقة والفروسية الرائعة والإقدام المثالي وهو ابن الثانية والعشرين، كان مباركا من الأولياء الصالحين، يؤمن به الفقراء والفلاحون والجنود يدخلون في حزبه»[2]، وهناك العديد من الثوريين أمثال "السلاوي" الذين كانوا يرفضون أي تدخل أجنبي للجزائر أو احتلال، ويطالبون بالحكم المغاربي منهم: "مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، بوضياف، آيت أحمد..." الذين أرادوا ثورة لا نضال سياسي وقد فجروها في ربوع الوطن سنة1954 وهذا بعد خطة محكمة بداية من اختيار منطقة الأوراس كما أن منطقة الأوراس كانت أوفر حظا في مسألة شراء وتخزين الأسلحة مقارنة بباقي المناطق، يذكر المجاهد "عمار بن عقون" أن منطقة الزرايب في الجنوب الشرقي الأوراس، اشتهرت خلال هذه الفترة بوفرتها على كميات كبيرة من السلاح خصوصا خلقة "سيدي ناجي وزريبة الوادي وزريبة سيدي حامد وأولاد جلال" وحول نوعية الأسلحة فقد كانت (مسدسات ورشاشات طومسون، بنادق موزير الألمانية، وبنادق

[1]– قندوز عبد القادر، بوغفالة ودان–الأمير عبد القادر في كتابات الدكتور أبو القاسم سعد الله ، مجلة المغاربة للدراسات التاريخية والاجتماعية–جامعة سيدي بلعباس–مجلد،7 العدد2، ديسمبر2016، ص 8

[2]– المرجع نفسه، ص 9

شاشي الايطالية وبنادق اشان الإنكليزية وبنادق موسكوتو الفرنسية (بلعقون1992)[1]، كما لا ننسى "مصالي الحاج" ودوره في العمل الثوري المسلح وتوفير السلاح بعد تجاوزه الأزمة حركات الانتصار والحريات الديمقراطية (حيث انقسموا مع الثورة ووقت تفجيرها إلى مركزيين لا مع ولا ضد والى ضد الثورة الوقت غير مناسب) «رغم كل المخاطر تجاوزت حركة انتصار الحريات الديمقراطية الأزمة وواصلت لقاءاتها، وتمكنت قيادتها من عقد مؤتمر سري تشكلت اللجنة المجتمعة من("مصالي الحاج، الدكتور أمين دباغين، خيضر محمد، أحمد مزغنة، أحمد بودة"). أنهى المؤتمر أعماله بالموافقة على قرار إنشاء منظمة مسلحة سرية تحت اسم المنظمة الخاصة OS... أطلق قادة الحزب على التنظيم اسم "المنظمة الخاصة"، وهي منظمة شبه عسكرية، ذات تنظيم هرمي صارم... وتشكلت هيئة الأركان للمنظمة من "محمد بلوزداد، حسين آيت أحمد، جيلالي بلحاج"، ومسؤولين عن العمالات، حيث قسمت الجزائر إلى خمس عمالات أسندت قيادتها لخمسة مسؤولين وهم: "ماروك محمد، محمد رقيمي، بوضياف، آيت أحمد و بن بلة"، وهناك عضوان آخران في قيادة الأركان على الصعيد الوطني هما: "محمد يوسفي" المكلف بالمصالح العامة، و" الحاج عبد القادر" المكلف بالتدريب العسكري هذا في عام1947»[2] ، وهناك العديد من الأبطال الذين كان تاريخهم مليئا بالبطولات من أجل الحرية والكفاح ضد العدو الوحشي (فرنسا) التي نكلت بالشعب الجزائري أيّما تنكيل. وقد أشار "السلاوي" إلى المستشرقين الغرب الذين كانوا عونا لفرنسا « أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر جاء عدد كبير من المترجمين والفنانين والكتّاب المعجبين بحياة الشرق وعلى إثر نجاح الحملة انطلق كل فريق إلى ميدان عمله الموكل له، فقد وظفت الإدارة، وأضرابه الاستعمارية الجديدة المترجمين لأنهم هم الواسطة بينهم وبين السكان، وقد أدرك القادة الفرنسيون أنّ نجاحهم في الجزائر يتوقف على حسن الترجمة والحوار وحسن اختيار المترجمين وكان منهم على التوالي: "جوني فرعون: مصري من أب

[1] – بدرة غجاتي، بوضرساية بوعزة–إستراتيجية قيادات الثورة في التسليح قبل اندلاع الثورة الجزائرية– مجلة العلوم الإنسانية، مجلد21، العدد1، ص 6

[2]– المرجع نفسه، ص 6–7

سوري، ولد سنة 1803... بعد الحملة الفرنسية أصبح مترجما وكاتبا لقائدها "ديبورمون"، حيث صنّف في صف المترجمين أكثر من صف المستشرقين.. "جان شارل زكار" ولد في سوريا عام 1789، ويقال هو الذي ساهم في ترجمة البيان الفرنسي المذكور سابقا إلى العربية، بالتعاون مع المستشرق "سلفشر دي ساسي، وبيانشي" ويعتبر "زكار" أول المبشرين في الجزائر... إنّ الفرنسيين لم يصطحبوا معهم العتاد الحربي والبواخر المدججة بالسلاح فقط، ولكنهم اصطحبوا معهم المستطلعين والمستكشفين والمترجمين والمستشرقين، وأهم من ذلك كله، أنهم جاؤوا بنظمهم ومناهجهم وأفكارهم، ورسخوا طبائعهم وعاداتهم»[1].

في الأخير نجد أنّ "حمة السلاوي" قد دافع عن الهوية الوطنية من خلال الملفوظات السردية التي كانت في الرواية والتي تدين الاستعمار التركي والفرنسي معا.

5-دوجـــــة:

فتاة قروية، كان والدها يشتغل عند القنصل السويدي « منذ وعيت وجدت أبي يعمل ببيت القنصل كانوا في القرية يقولون انه أفضل رجالها معرفة بالأشجار»[2]، فقدت أمها منذ سنتين: "كان قد مرّ على موت أمي سنتان"[3]، حياتها كانت عبارة عن مأساة حقيقة؛ فبعد وفاة أمها، يتوفى أخوها وبعدها والدها مباشرة بسبب الضابط "كافيار":« وقف أبي منحنيا كأنما قد اقترف ذنبا ثم سمعته يتمتم بكلمات لم أتبينها، بدا مثل من يعتذر، لم أكن انتظر أن يزداد حنق "كافيار"، بينما بقي أبي مُطأطئا رأسه، ثم امتدت يد "كافيار" إلى وجهه لطمة حتى سقط، صرخت وأنا أراه على حالته تلك... في نهاية الأسبوع تعلقت عينا أبي بالسقف، مفتوحين ولا تريان شيئا، امتدت يداي إليه وحركت جسده... دخل بعض الفلاحين وتحسسوا جسده غير مصدقين أنّ أبي قد مات»[4]، قررت بعدها أن تذهب إلى المحروسة، التي لا طالما حدّثها عنها والدها، وأخبرها عن جمالها ومدى روعتها:« كانت المحروسة حكاية تروى

[1] – عبد الكريم حمو، دور المستشرقين في احتلال الجزائر ص: 9-10

[2] – الرّواية، ص 157

[3] – الرّواية، ص 155

[4] – الرّواية، ص 232-233

لي، وبيوتا كثيرة بيضاء، وحوانيت تبيع القماش الجميل والمناديل التي تفضلها أمي، وحلوى الطحين التي يحبّها منصور، منذ طفولتي رقصت المدينة في مخيلتي بعد أن حدثني أبي طويلا عنها، قال إنّ الباشا رجل طيب يحب رعاياه وإنّ الناس هناك يحبّون الخير، ويرتادون المساجد على الدوام... أعدت الحكاية وأنا أقطع المسافة الطويلة بينها وبين المحروسة، حينما تظلم أتكئ على شجرة وأسحب من صرتي بعض التين... وأنام فلا أرى إلى البيوت البيضاء، والوجوه المبتسمة»[1]، فالصورة التي رسمتها في مخيلتها لم تجدها عند لحظة وصولها، بل وجدت ذئابا بشرية تود افتراسها، فالجمال في المحروسة له ضريبة وهو ما جاء في قولها:« أن تكون المرأة جميلة في المحروسة، يعني أنّ جميع الرجال يشتهون مضاجعتها»[2]، فهي منذ أن وطأت قدمها المحروسة وهي تعاني من ظلم الرجال وقهرهم، فهم لا ينظرون إليها إلا شهوة أو كفريسة للصّيد:« بدا في الوهلة الأولى التي رأيته فيها أبا ثانيا، أو بالأحرى جدا اقترب مني في ساحة السوق، عيناه تحملان كل الطيبة، أومأ لي بالسير معه، وتبعته لأني رأيت التجّار يوقرونه كلما مر بهم...قدّمني إلى زوجته وأولاده، اعتقدت أنني وجدت بيت آخر آوي إليه... مرّ الشهر الأول على ما يرام، ولكن الشهر الثاني كان مختلفا، إذ لاحظت أن الشيخ كان يطيل النظر إلى جسدي.. أحيانا كان يلج غرفتي، فجأة أكون في نصف ثيابي فلا يحتشم، تتفحص عيناه جسدي... تلمحه زوجته من طرف الباحة، وتتحول معاملتها، صارت فظّة تحملني مالا طاقة لي به»[3]، رجال الدين! "دوجة" لم تسلم حتى من شيخ المدينة، وهنا يجب أن نتعلم بأن المظاهر خداعة، وكذلك يجب أن نعلم بأن المرأة عدوة المرأة، كيف سمحت لنفسها زوجته بأن تعامل "دوجة" بتلك القسوة لماذا يجب علينا في كل مرة أن نجلد الضحية ونترك الجلاد؟ ما ذنب "دوجة" إذا كان زوجها من المكبوتين، الهمجيين، السذج، الذين لا يرون المرأة إلا عبارة عن جسد لتفريغ شهواتهم أو كأداة للترويح عن أنفسهم، لماذا لم تقم بخلع زوجها وبالطبطبة على قلب "دوجة"

[1] – الرّواية، ص 234

[2] – الرّواية، ص 236

[3] – الرّواية، ص 159– 160

وخففت عليها ألم التحرش الذي وقع عليها، فمعاناة "دوجة" لم تقف هنا فقط بل ذهبت إلى منحى أسوء من هذا بكثير، فقد أصبحت امرأة سوء أو بغيّة بعد أن سحبها المزوار القذر إلى فراشه، بعد أن تخلت عليها "لالة مريم" وباعتها بأبخس الأثمان «صرخت حين قبضت يد المزوار على يدي، لكنه لطمني بقوة وسحبني، وعبر بي باب الغرفة، لم تنفع مقاومتي له، خدشت بعض جسدي، ولكنه كان يقطع عنّي الثياب، ويرميها جانبا، ويكتم صوتي المخنوق، وحين أنهكت فقد توّغل بين ساقيّ، فانتفضت ، وظلّ يصعد... لم يسمع ساعتها توسلاتي... وواصلت بكائي حتى أظلمت، سمعت اهتزاز الباب، ثم انتصب بجسده الضخم،...ويضحك»[1] لا يوجد شيء أقسى من ألم الاغتصاب، أخذ الشيء بالقوة سواء جسد أو أرض، فهذا الألم لا نهاية له بالنسبة لضحاياه، مهما مرّ الزمن، سيلازمهن مدى الحياة، فلا بارك الله في مغتصب، تقول "غانغوباي" عن لوعتها عن مرارة الاغتصاب الذي حدث لها « لا تنسوا أن تربطوا رجليها بإحكام عند دفنها فالرجال لا مأمن لهم» ثم لم يكتف بأخذ شرفها فقط بل حوّلها إلى سلعة لزبائنه:« يجب أن تعرف أن ذلك الأسبوع الذي قضيته مع المزوار كان يعادل كل أوجاعك، أسبوع حوّلني إلى بغي، وليتك قاسمتني الغرفة يومها، سترى كيف ضرب الباب بقوة في اليوم الأخير من ذلك الأسبوع، وقفت إلى جانبه امرأة، طلب منها أن تنظفني، وتلبسني أفضل ما لديها من ثياب...كان أكثر جدية، مثل تاجر يحرص على بيع سلعته في وقت ضئيل، شدّت المرأة على يدي وسحبتني... غمستها داخلة فركست ما بين ساقي، وكأنني لا أملك إلا ذلك المكان، حرصت المرأة أن يكون أكثر نظافة من بقية الجسد»[2]، ومن هنا بدأت رحلتها في عالم الشقاء، التي استطاعت أن تقاومه بفضل الآلام التي مرت بها سابقا:« دثرت أمي، واتبعها أخي، ثم غاب أبي، لأجد نفسي وحيدة أمام قبره، لم أتوقع يوما أنّ الأوجاع التي كنت أحملها ستعينني على تحمل المبغي، ثم أتحول إلى امرأة لا تعرف سوى الانتظار»[3]، فالنساء في المحروسة مهمّشات، لا دور لهن سوى

[1]– الرواية، ص241–242

[2]– الرواية، ص 302

[3]– الرواية، ص89

الطبخ والاعتناء بالبيت، كانت "دوجة" تحب "السلاوي" لأنه لم يحتقر يوما نساء المبغى، بل كان يعكف عليهن ويدافع عنهن أمام الرجال المستغلين حيث تقول: "في تلك الأيام عرفت السلاوي رجلا يرفض كل نساء المبغي، ولكنه أول من يدافع عنهنّ، بدا لي موقفه غريبا، ثم زادت دهشتي وأنا أراه مثلما رأته البقية يلوّح بقبضته تجاه المزوار ويلقيه أرضا، كان يوما مختلفا حتى بعد سنوات ظللت أذكره"[1]، كانت تذهب إلى الضريح مع "لالة سعدية" زوجة "ابن ميّار" وتقوم بالنذر هناك لكي يخرجها الله من دار المبغي وتقضي حياتها الباقية مع "السلاوي":" لا أدري كم هي النذر التي ألزمت بها نفسي منذ عرفت "السلاوي"... ليالي طويلة قضيتها، أتضرع إلى الله كي يخرجني من المبغي، وفررت عدة مرات ولكنه يعيدني، أهالي المحروسة... يصرون أنه لا مكان للبغي إلا في المبغي وألا توبة لها"[2] وفي موضع آخر:" دخلت "لالة سعدية" في لباس الخروج، طلبت مني مرافقتها إلى ضريح "عبد الرحمن الثعالبي..." وقفت يومها أمام الضريح، سمعت لقلقة الطائر من مكاني... أهل المحروسة يعتقدون إنّه طائر صالح يجاور ضريح حارس المدينة"[3]، كانت تقوم بخياطة عرائس السلاوي: "التفت ومددت يدي إلى العرائس، وكلما نويت صناعة أخرى أبهى، أتذكّر أنه لن يأخذها، لم يعد يؤمن بأن هناك مكانا للأشياء الجميلة في المحروسة... حركت العروس في يدي أنثى قبيحة، صدرها كبير كمؤخرتها، كما كانت من بقايا عرائس قديمة تخلّى عنها "السلاوي"، ثم عادت يدي بأخرى من صندوق على يمين الرجل يحمل عمامة ضخمة، وجهه أميل إلى الحمرة، تتقدمه كرش... و أطل منها على أيام كانت فيها "للسلاوي" أحلام بزوال الأتراك»[4].

ومن هنا، نرى أن الكاتب قد شبّه شخصية "دوجة" بالوطن المغتصب في العلن، الذي تداول عليه الغزاة، وانتهكوا حرمته في الخفاء مثل الاحتلال التركي، والعلن، الاحتلال

[1]– الرواية، ص 78–**79**

[2] – الرّواية، ص 80

[3] – الرّواية، ص 80

[4] – الرّواية، ص 88

الفرنسي، فشخصية "دوجة" لم تكن لها إيديولوجية مثل بقية الشخصيات، فهي تتأثر من المحيط الذي حولها وأحداثه من غير فهم، والشيء الذي كان يساعدها على تحمل المآسي والأزمات في حياتها هو حب السلاوي، وتتقاسم "دوجة" جزءا من شخصية "خداوج العمياء" من ناحية الجمال.

في ختام هذا الفصل، نتأكد بأن فرنسا كانت مخططة لكل شيء قبل أن تحضر الحملة وحادثة المروحة ما هي إلا ذريعة لدخولها، كما نكتشف الجانب المظلم من الخلافة العثمانية وكيف قدّمت الجزائر لفرنسا على طبق من ذهب، دون مقاومة، فشل التخطيط، الاستهزاء بالعدو، كما نتأكد أن قوم "اليهود" هم سبب خراب كل أمة وأنهم خبثاء، متلونون يتماشون مع مصالحهم، نرى أنّ النضال السياسي لا جدوى منه لذلك نفي "ابن ميّار"، وأنّ الشعب الثائر أمثال "سلاوي" هو الذي ينفع، لأن "ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة."

إضاءة:

رأينا، من خلال الرواية وتحليلها، أنّ حمّة السلاوي، أبرز شخصيّات الرواية، كان ينقد الدولة العثمانية بشكل واضح وجلي، وذلك لأسباب كثيرة؛ فالدّولة اتّخذت من اسمها الخلافة العثمانية حبرا على ورق، ولا تمت للدين بأية صلة، لا أخلاقيا ولا عقائديا، فالدولة العثمانية، آنذاك، كانت مشتهرة بصناعة البارود والمدافع، والسفن الحربية خاصة، هذا الأمر جعل من نفوذها يزداد، لكن هذه القوّة لم تستعملها فقط لإخضاع الصليبيين، بل مارستها وبعنف على العرب أصحاب الرسالة المحمّديّة، وعادة ما نربط كلمة الإسلام بالسلام؛ فهو دين المحبّة والسلام والأخوّة، والرسول – صلّى الله عليه وسلم– لم يكن يستعمل القوّة مع الضعفاء والمسالمين، بل مع الجبابرة والمتغطرسين والكفرة، فالسؤال الذي يمكننا طرحه هنا هو: لماذا دخلت الدولة العثمانية إلى مصر، السعودية ...؟ رغم أنّهما لم يستنجدا بها مثل ما حدث في الجزائر؟ فكمية المجازر والدّماء التي سُفكت في مصر عند دخولها يندى له الجبين، وهذا ما جاء في كتاب المؤرّخ المصري بدائع الزهور في وقائع الظهور، حيث يقول: "فلمّا رجع من هناك السلطان قطعوا رؤوسهم المتراكمة، وأخذوا ما كان معهم من مال وقماش

وبرك وخيول، ثمّ قطعوا بعد ذلك رؤوسهم وأرسلوها إلى السلطان وتحظّوا عنده بذلك، فلمّا مثلوا بين يدي السلطان، رسم بأن يعلقوا علي بابا زويلة فعلّقوا عليه ثلاثة أيام"[1]، فقد كان الملك، أو كما يسمّى سلطان البر والبحر أو الصدر الأعظم لدولة العلية، يقتل المسلمين ويعلق رؤوسهم، لكي يعتبر ويردع الشعب خوفًا من العصيان، ذكرت الألقاب للسلطان لسبب وجيه، لماذا لا يطبقون عليه لقب الخلافة، ثانيا الدولة العثمانية هي امتداد للدولة الفاطمية (الشيعية)، ونجد أنّ معتقداتها تشبهها جدا خاصة في القبور والأضرحة، فشخصيات الرواية (ابن مياره، دوجة، لالة سعدية) في كل أمر يقوم به أحدهم كان ينتظر إشارة من الطائر أو يتبرك بالضريح الثعالبي، وهذا شرك لأنّ لا معبود آخر مع الله، فهذا الفكر التضليلي الذي يدعو إلى تجميد العقول حتى يتسنى لآل عثمان ضرب العرب أو المسلمين كافة في عقيدتهم أوّلا، وأن ينهجوا نهجهم، فمثلا هناك من الأولياء الصالحين الذين لم يخرجوا من البيت عند وقوع حادثة ما له وظلّ يبكي ويلطم إلى أن مات، وهنا دعوة إلى الجبن والهروب من المواجهة، وهذا ما جعل سكان المحروسة يلتزمون الصمت كل هذه المدّة، ثمّ إنّ آل سعود عندما طردوا العثمانيين وأسسوا الدولة السعودية، قاموا بهدم قباب البقيع، وهي مقابر الصحابة، بني عليه بيوت وبقبب كبيرة، وقد تمّ هدمها بعد طرد العثمانيين مباشرة، وهنا نجد أنّ الفكرة التي روّجت لها الدولة العثمانية بأنّها دولة تريد أن تعيد أمجاد الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه ما هي إلّا كذب وخداع لتوسيع السلطة والاستمتاع من غنائم الاحتلال، كان الأتراك يعتدون على الممتلكات المجاورة ويأخذون نساءها سبايا وجواري لخدمة السلطة العثمانية، فدولة بنيت على دماء الآخرين ما هي إلّا دولة إرهابية ظالمة ومستبدّة، ومثلها مثل الاحتلال الأجنبي (الغرب) ومثل التتار و ما فعلوه في بغداد.

[1] – محمد بن أحمد بن إياد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص549.

خـــاتـــمـــة

خاتمة

وفي الختام أحمد الله تعالى الذي قدّرني على استكمال البحث الذي قدّمت فيه ما استطعت من المعلومات، التي استغرقت مني الوقت الطويل في البحث والمطالعة لإيجاد مصادر ومراجع موثوقة تخدم لي البحث.

وقد خضت تجربة رائعة وراقية من خلال بحثي "الإيديولوجية والتاريخ في رواية الديوان الإسبرطي"، هدفت بها إلى الارتقاء بمستواي العلمي، ومع ذلك فإنّ المعلومات قد كتبت بيد بشر قد تصيب وتخطئ، قد قسمّت بحثي إلى فصلين: نظري أشرت فيه إلى الإيديولوجية كمفهوم وعلاقتها بالرواية، وتناولت فيه أيضا مفهوم التاريخ والرواية التاريخية وعلاقة التخييل التاريخي بالرواية، أمّا الجانب التطبيقي فبدأته بمدخل تحدّثت فيه عن المدرسة التاريخانية الجديدة كتمهيد للموضوع، ثم انطلقت في دراسة غلاف الرواية، وقمت بتحليل الشخصيات وفق المدرسة التاريخانية الجديدة، وقد توصّلت إلى العديد من النتائج:

- ✓ أنّ الرواية الجزائرية أصبحت تنافس الرواية العربية بشكل قوي، نرى بأنّ رواية الديوان الإسبرطي لم تنل الجائزة عبثا، بل لقوّة أسلوب الكاتب وحنكته في طرح الأحداث في شكل سردي دائري، وقد تحدّث الكاتب عن فترة حسّاسة في تاريخ الجزائر 1815-1834 لأنّها لم يؤرخ لها جيدًا، ويوجد فيها العديد من الثغرات التي تطرح العديد من التساؤلات، التي شكّلها الروائي في رؤية وقراءة جديدة لتاريخ مفسرا لمصداقية هذه الوقائع وكشف الحضانات الفكرية التي أدّت إلى حدوثها.

حاول عبد الوهاب عيساوي طرح إيديولوجيات مختلفة كانت سائدة في المحروسة أيّام الحملة الفرنسيّة على الجزائر، وبعدها أيضا، منتقدا الواقع الفاسد والحكم الظالم لبني عثمان، فهم لا يختلفون عن فرنسا؛ فمن استولى على أرض غيره لا يسمّى إلّا مستعمِرا. كما نجد حنكة الكاتب واضحة في اختيار العنوان، فهو لم يختره عبثا، بل اختصر كل معاني الرواية فيه، استلهمه من مدينة يونانية عسكرية، تقوم على القوّة، ليجعل القارئ يطرح العديد من التساؤلات، ممّا يزيد من نسبة فضوله في اكتشاف الرواية.

- ✓ لاحظنا أنّ التاريخانية الجديدة تهتم بالتاريخ الأدبي والثقافي للنص، فهي تستند إلى تفكيك وتشريح وتقويض المقولات المركزية التي أفسدت المجتمعات وفضحت مبرّرات

الطبقات الحاكمة، مثلما تُعُومِل به مع التّاريخ التركي الذي كان شيئا مقدسا ودُرّس لنا في السنوات الماضية بأنّها الدولة المثالية المنقذة، والعكس تماما فهي ليست سوى نظام استبدادي ظالم، لأنّ كل من أخذ أرض غيره، فهو مستعمر وليس حامٍ لها.

✓ لم يكن اختيار الشخصيات بالنسبة للروائي اعتباطيا، فقد ذكر لنا شخصيتين فرنسيتين، مختلفتي الفكر والإيديولوجيا، ولكن يهدفان إلى نفس الشيء، وهو إعلاء فرنسا، ذكر لنا شخصيتين جزائريتين متناقضتين، ولكن هدفهما مختلف؛ فالأوّل يريد أن يبقى تابعا للاستعمار وظالما يرى من وجهته أنّه أتى بالإسلام وبن المساجد ...الخ. وشخصية أخرى نضالية كفاحية تريد الاستقلال التام، كما تطرّق إلى ذكر المرأة وضعفها في ذاك الوقت، فهي ضحية الأحداث لم تستوعبها، وكانت أكبر من طاقتها.

وفي الأخير أرجو أن يكون هذا البحث على قدر جمال وأناقة الموضوع، وأهمية الأحداث التي طرحها، وأن ينال رضا كل أساتذتي الكرام.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- ✓ عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، الجزائر، دار ميم للنشر، 2018

المراجع العربية:

- ✓ أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- ✓ جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، الطبقة الثانية، دار الريف للطبع والنشر الالكتروني، الناظور، تطوان المملكة المغربية.
- ✓ حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الحمراء، الطبعة الأولى: 1990
- ✓ حلمى مرزوق، الرومانتيكية والواقعية في الأدب «الأصول الإيديولوجية» 1983، –دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت طبعة 8
- ✓ عبد الله العروي، التخيل التاريخي، السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية الطبعة، 2011 بيروت
- ✓ عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، بيروت، 2012
- ✓ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ الطبعة الرابعة 2005، الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب
- ✓ عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، صدرت في 1998، الكويت
- ✓ علي محمد صلابي، "كفاح الشعب الجزائري، ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية" الأولى، ط1–دار المعرفة، بيروت2017
- ✓ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج3
- ✓ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، الناشر مكتبة النهضة الجزائرية.
- ✓ نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن: 2006
- ✓ الياس أبو شبكة، تاريخ نابليون بونابرت (1769,1821)، ط1، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة 2020

المراجع المترجمة:

- ✓ حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ص114
- ✓ جان بول سارتر، كتب ثقافية" عارنا في الجزائر، الناشر القومية للطباعة والنشر، شارع عبيد
- ✓ داريوش تنايغان ما الثورة الدينية؟ الحضارات التقليدية في مواجهة الحديثة، ترجمة وتقديم د.رحموني، مراجعة د.مروان، دار الثقافي، الطبعة الأولى
- ✓ فريديريك بيزر، التاريخانية، ترجمة عمرو بيسوني، مركز نهوض الدراسات والنشر
- ✓ لايمان تاور سارجنت، اليوتوبية – مقدمة قصيرة جدا–تر: ضياء وراد مراجعة محمد فؤاد مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2016

المعاجم:

- ✓ إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر تونس، 1986، ص 415–416.
- ✓ سعيد علوش، معجم مصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب

المجلات:

- ✓ أحمد عصماني، النخبة الجزائرية وموقفها من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر1830، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد17 جوان2017
- ✓ أحمد مريوش، أصدقاء الثورة الجزائرية من الفرنسيين بين الواقع التاريخي والترويج الياسي، حوليات التاريخ والجغرافيا، العدد الثاني عشر(12) ديسمبر2017
- ✓ إيمان برقلاح مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة خنشلة، النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، كلية الآداب واللغات قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد الأول
- ✓ فادية المليح الحلواني، مقالة الحامل الإيديولوجي في الرواية، رقم العدد 420 – إصدار 1 سبتمبر 1998.
- ✓ بن زينب آمنة–طالبة دكتورة– "واقع المقابر والأضرحة بمدينة الجزائر أثناء فترة الاستعمار1850–1851"– المحلية الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية, المجلد3– العدد6– ديسمبر2017 ص: 8
- ✓ بن أعطى الله عبد الرحمان، ماجستير تاريخ الحضارات، جامعة الجزائر02،

- ✓ حرشوش كريمة، جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر من خلال أدبياتهم 1832-1847 نماذج، جامعة وهران، الجزائر
- ✓ الحسين عمروش، تغيير السلوك الإجرامي في نطاق علم النفس الجنائي- دفاتر بحوث العلمية، المجلد 9، العدد، 2
- ✓ خالد خالدي، سامية غشير، مسرح الجمال في عالم الخط العربي بين الأقلام الستة والخطوط العاجمية، المجلة الفنية، 2019، المجلد04، العدد02
- ✓ سليمة بالنور، مجلة الدراسات المعاصرة -رواية سمرقند-لامين معلوف بين السرد التّاريخي والتّخيلي-المجلد 5/العدد: 02، جامعة العربي التبسي بتبسة، (2021)
- ✓ سمير شوقي، جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر على ضوء الأعراف الإنسانية-مجلة العلوم الإنسانية العدد الرابع-ديسمبر 2015
- ✓ طانية حطاب جدلية التاريخي والمتخيل في رواية الكتاب الأمير لواسي الأعرج، مجلة العلوم العدد 4
- ✓ طلحة، مجلة كفاية للغة والأدب، النقد الثقافي -النشأة والتطور، مجلد01، العدد 02، ديسمبر 2021
- ✓ عائشة العشمي، حضور الآخر في الخطاب الروائي الجزائري، قراءة في رواية 'شرخات بحر الشمال' لواسيني الأعرج، مجلة التواصلية-العدد الثامن
- ✓ عبد السلام للعجال، الأثر، تحولات القراءة من الأدبي إلى الثقافي في رحلة البحث عن المعنى، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، العدد34، ديسمبر 2020
- ✓ عبد المجيد حنون، علاوة كوسة، الواقع الغربي في المتخيّل الشرقي، قراءة في كتاب 'صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مجلة مقاليد، العدد11
- ✓ العربي بوعناني، ثورة فليتة بقيادة سي لزرق باجاج عام1864 ضد الاستعمار الفرنسي دراسة من خلال الأرشيف والكتابات الفرنسية-محلية العبر للدراسات التاريخية والانترنت في شمال إفريقيا المجلد4-العدد:2-سبتمبر 2021
- ✓ علاوة كوسة، تجليات التاريخي في الرواية العربية مجلة مقاليد العدد 13ديسمبر 2017
- ✓ عواد علي وهيثم حسن، مجلة الجديد، الرواية والتاريخ استلهام التاريخ في كتابة ARAB Publishing center، لندن، العدد 60، يناير كانون الثاني 2020
- ✓ عيسى عودة برهومة، بلال كمال عبد الفتاح: سيمائية الإهداء -دراسة نماذج من الرواية العربية حولية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للشباب، الاسكندرية، العدد الثاني والثلاثين، 2016/04

- ✓ فارس كعوان، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر، المجلد الأوّل، عدد خاص، أفريل2019،
- ✓ فريد حلمي، مكونات الغلاف ومدى قابلية القراءة والتأويل (بين العتبة والتهميش)، المجلد15، العدد02، جوان2019،
- ✓ فضيلة حفاف، السياسة الفرنسية الأهلية في الجزائر في بدايات الاحتلال (1830- 1833)، مجلة الحكمة لدراسات التاريخية 2015/3/3
- ✓ فن الرواية، ملحمة العصر الحديث، 2017/03/24.
- ✓ لمياء عيشو، المدوّنة، مدخل إلى التاريخانية الجديدة، المجلد 8، العدد: 1مارس2021
- ✓ محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، مدير دار معرفة النشر بدر الدين دبوسي
- ✓ محمد صاحبي، السانسيمونيون وحملة وصف الجزائر: رونية باصي أنموذجا، دراسات في آثار الوطن العربي18
- ✓ محمد كامل عيّاد، تاريخ اليونان، الجزء الأوّل، الطبقة الثالثة، دار الفكر، ص171.
- ✓ مصطفى أحمد قمبر، خطاب العتبات في ديوان الملاح التائه لعلي محمد طه، العنوان أنموذجاً، المجلد 04، العدد 02
- ✓ مفهوم فلسفة التاريخ عند ابن خلدون
- ✓ يحي فولان – مبروك باحمان، سياسة الابادة الجماعية للقادة العسكريين الفرنسيين في الجزائر1830-1871 مجزرة العوفية ج. أدرار

المواقع:

a) https://political-encyclopedia.org

http://www.wababylon.endu.iq

http://thesis.univ-biskra.dz

http://webdoc.france24.com/alogent-terrorisme-beta-2lha-massacre

http://www-bbc.com/arabica/middleast

http://www.cia.gov/libary/abbattabad-oompound

https://www.youtube.com/watch?v=htJ0SF8rzRg

الملاحق

الملاحق:

1/ التعريف بالكاتب: عبد الوهاب عيساوي؛

ولد عبد الوهاب عيساوي شهر مارس 1985، بمدينة حاسي بحبح ولاية الجلفة، تخرّج من جامعة زيان عاشور، ويعمل مهندس صيانة.

2/ مؤلّفاته؛

- سيرايدي موريثي.
- سينما جاكوب.
- الدوائر والأبواب.
- سفر أعمال المنسيين.
- الديوان الإسبرطي.

المجموعة القصصية؛

- حقول الصفصاف.
- مجاز السرو

الجوائز؛

- تحصّل على جائزة البوكر سنة 2020 عن روايته 'الديوان الإسبرطي'.
- جائزة رئيس الجمهورية علي معاشي سنة 2012 عن رواية سينما جاكوب.
- جائزة الشارقة عن مجموعة الحقول الصفصاف عام 2013.
- جائزة آسيا جبار للرواية عام 2015 عن رواية سيرايدي موريثي.
- جائزة سعاد الصباح للرواية عام 2017 عن روايته الدوائر والأبواب.
- جائزة كاثار للرواية غير المنشورة 2017 عن روايته سفر أعمال المسنين.

ملخص الرواية:

وصف الروائي مدينة المحروسة خلال الوجود العثماني والانتداب الفرنسي من 1815-1830 وهي فترة حسّاسة من تاريخ الجزائر، إذ لم يأرّخ لها بشكل كبير.

اعتمد الكاتب الأسلوب الدائري في السرد، مقسم الرواية إلى خمسة أبواب، كل باب يحتوي على شخصية مختلفة عن الأخرى، بها إيديولوجية غير الإيديولوجيات الأخرى موزّعة على 384 صفحة، تدير أحداث الرواية شخصيات خيايلة رئيسية، وهي ديبون الصحفي المثالي، ويلعب دور المخدوع كافيار ضابط فرنسي من جيش نابليون، أُسر في الجزائر وهو المُخطّط للحملة ابن سيار: مناضل سياسي حليف للعثماني، السلاوي: الثوري الناقم، دوجة: الشخصية الفقيرة، المغتصبة والتي يساعدها السلاوي في العديد من المواقف المحرجة، وشخصيات تاريخية حقيقية، مثل: (الداي حسين 'الباشا'، القنصل ديفال، دوبرمون، نابليون...) وتتفاعل هذه الشخصيات فيما بينها لتشكل لنا 'رواية واقعية تاريخية' لتبيّن وتطرح بجرأة الوضع الاجتماعي، الاقتصادي، والسياسي للجزائر إبّان الحكم العثماني والدخول الفرنسي.

فهرس المحتويات

الفهرس

شكر وعرفان

مقدمـــة 1

الفصل الأول: الإيديولوجيا والتخييل التاريخي

مفهوم الإيديولوجية 4

الرواية والإيديولوجية: 7

مفهوم الرواية اصطلاحا 7

أ.الإيديولوجية في الرواية: 8

ب.رواية كإيديولوجيا: 10

الرواية التاريخية والتخييل التاريخي: 10

أ.مفهوم التاريخ: 10

ب.مفهوم الرواية التاريخية 12

ت.التخييل التاريخي في الرواية التاريخية: 13

الفصل الثّاني: الإيديولوجي والتّاريخي في الديوان الإسبرطي

مدخل: 17

قراءة في غلاف الرواية 22

1-مفهوم الديوان: 26

2-مفهوم الإسبرطي: 26

3-العلاقة بينهما وسبب اختيار الكاتب هذا الاسم: 27

الإهداء: 28

صراع الشخصيات الإيديولوجي: 29
1-ديبون: (Dupond)..... 30
2-كافيارCaviar 44
3-ابن ميّار: 57
4-حمة السلاوي:..... 71
5-دوجـــــة: 81
إضاءة: 85
خاتمة..... 88
قائمة المصادر والمراجع: 91
الملاحق:..... 96
ملخص الرواية: 97
الفهرس 99
ملخص البحث.....101

ملخص البحث

قد قمت بدراسة في هذا البحث الأكاديمي الموسوم" الإيديولوجي والتاريخي في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب العيساوي"، عن المقاربة التاريخانية، لأن هناك العديد من القضايا التي فتحت للنقاش من خلال هذه الرواية، التي تحمل في طياتها إيديولوجيات مختلفة، وقد قسمت بحتي إلى فصلين: نظري بعنوان الإيديولوجي والتخييل التاريخي، أما الفصل الثاني فقد قمت بالتطبيق على الرواية مستعملة العديد من المناهج في استنباط إيديولوجية الشخصيات، كما قمت بدراسة الغلاف وذلك لما تكمن أهميته في إعطاء النظرة الأولى لرواية.

الإيديولوجيا، التخييل، التناص التاريخي، التاريخانية الجديدة.

Résumé :

J'ai mené une étude dans cette recherche académique étiquetée "l'idéologique et l'historique dans le roman de la cour spartiate d'Abdel-Wahhab Al-Issawi", sur l'approche historique, car il y a beaucoup de questions qui ont été ouvertes à la discussion à travers ce roman, qui porte en lui différentes idéologies, et il a été divisé en deux chapitres : Ma théorie s'intitule Idéologie et fiction historique. Quant au deuxième chapitre, je l'ai appliqué au roman, en utilisant de nombreuses méthodes pour dégager l'idéologie des personnages. J'ai également étudié la couverture pour ce qui est important pour donner le premier regard à un roman.

Idéologie, fiction, intertextualité historique, nouvel historicisme.

Abstract :

I have conducted a study in this academic research tagged "the ideological and historical in the novel of the Spartan Court of Abdel-Wahhab Al-Issawi", on the historical approach, because there are many issues that have been opened for discussion through this novel, which carries with it different ideologies, and it has been divided into two chapters: My theory is titled Ideology and Historical Fiction. As for the second chapter, I applied it to the novel, using many methods to elicit the ideology of the characters. I also studied the cover for what is important in giving the first look to a novel.

Ideology, Fiction, Historical Intertextuality, New Historicism.